رحلة إلى الغد

توفيق الحكيم

Bibliotheca Alexandrina
0298446

توفيق الحكيم

رحلة إلى الغد

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية
رقم التسجيل

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية

١	ــ محمد ﷺ (سيرة حوارية)	١٩٣٦
٢	ــ عودة الروح (رواية)	١٩٣٣
٣	ــ أهل الكهف (مسرحية)	١٩٣٣
٤	ــ شهر زاد (مسرحية)	١٩٣٤
٥	ــ يوميات نائب فى الأرياف (رواية)	١٩٣٧
٦	ــ عصفور من الشرق (رواية)	١٩٣٨
٧	ــ تحت شمس الفكر (مقالات)	١٩٣٨
٨	ــ أشعب (رواية)	١٩٣٨
٩	ــ عهد الشيطان (قصص فلسفية)	١٩٣٨
١٠	ــ حمارى قال لى (مقالات)	١٩٣٨
١١	ــ براكسا أو مشكلة الحكم (مسرحية)	١٩٣٩
١٢	ــ راقصة المعبد (روايات قصيرة)	١٩٣٩
١٣	ــ نشيد الأنشاد (كما فى التوراة)	١٩٤٠
١٤	ــ حمار الحكيم (رواية)	١٩٤٠
١٥	ــ سلطان الظلام (قصص سياسية)	١٩٤١
١٦	ــ من البرج العاجى (مقالات قصيرة)	١٩٤١
١٧	ــ تحت المصباح الأخضر (مقالات)	١٩٤٢
١٨	ــ بجماليون (مسرحية)	١٩٤٢
١٩	ــ سليمان الحكيم (مسرحية)	١٩٤٣
٢٠	ــ زهرة العمر (سيرة ذاتية ــ رسائل)	١٩٤٣
٢١	ــ الرباط المقدس (رواية)	١٩٤٤

٢٢ — شجرة الحكم (صور سياسية) ١٩٤٥
٢٣ — الملك أوديب (مسرحية) ١٩٤٩
٢٤ — مسرح المجتمع (٢١ مسرحية) ١٩٥٠
٢٥ — فن الأدب (مقالات) ١٩٥٢
٢٦ — عدالة وفن (قصص) ١٩٥٣
٢٧ — أرنى الله (قصص فلسفية) ١٩٥٣
٢٨ — عصا الحكيم (خطرات حوارية) ١٩٥٤
٢٩ — تأملات فى السياسة (فكر) ١٩٥٤
٣٠ — الأيدى الناعمة (مسرحية) ١٩٥٩
٣١ — التعادلية (فكر) ١٩٥٥
٣٢ — إيزيس (مسرحية) ١٩٥٥
٣٣ — الصفقة (مسرحية) ١٩٥٦
٣٤ — المسرح المنوع (٢١ مسرحية) ١٩٥٦
٣٥ — لعبة الموت (مسرحية) ١٩٥٧
٣٦ — أشواك السلام (مسرحية) ١٩٥٧
٣٧ — رحلة إلى الغد (مسرحية تنبؤية) ١٩٥٧
٣٨ — السلطان الحائر (مسرحية) ١٩٦٠
٣٩ — يا طالع الشجرة (مسرحية) ١٩٦٢
٤٠ — الطعام لكل فم (مسرحية) ١٩٦٣
٤١ — رحلة الربيع والخريف (شعر) ١٩٦٤
٤٢ — سجن العمر (سيرة ذاتية) ١٩٦٤
٤٣ — شمس النهار (مسرحية) ١٩٦٥

٤٤ ـ مصير صرصار (مسرحية) ١٩٦٦
٤٥ ـ الورطة (مسرحية) ١٩٦٦
٤٦ ـ ليلة الزفاف (قصص قصيرة) ١٩٦٦
٤٧ ـ قالبنا المسرحى (دراسة) ١٩٦٧
٤٨ ـ بنك القلق (رواية مسرحية) ١٩٦٧
٤٩ ـ مجلس العدل (مسرحيات قصيرة) ١٩٧٢
٥٠ ـ رحلة بين عصرين (ذكريات) ١٩٧٢
٥١ ـ حديث مع الكوكب (حوار فلسفى) ١٩٧٤
٥٢ ـ الدنيا رواية هزلية (مسرحية) ١٩٧٤
٥٣ ـ عودة الوعى (ذكريات سياسية) ١٩٧٤
٥٤ ـ فى طريق عودة الوعى (ذكريات سياسية) ١٩٧٥
٥٥ ـ الحمير (مسرحية) ١٩٧٥
٥٦ ـ ثورة الشباب (مقالات) ١٩٧٥
٥٧ ـ بين الفكر والفن (مقالات) ١٩٧٦
٥٨ ـ أدب الحياة (مقالات) ١٩٧٦
٥٩ ـ مختار تفسير القرطبى (مختار التفسير) ١٩٧٧
٦٠ ـ تحديات سنة ٢٠٠٠ (مقالات) ١٩٨٠
٦١ ـ ملامح داخلية (حوار مع المؤلف) ١٩٨٢
٦٢ ـ التعادلية مع الإسلام والتعادلية (فكر فلسفى) ١٩٨٣
٦٣ ـ الأحاديث الأربعة (فكر دينى) ١٩٨٣
٦٤ ـ مصر بين عهدين (ذكريات) ١٩٨٣
٦٥ ـ شجرة الحكم السياسى (١٩١٩ ـ ١٩٧٩) ١٩٨٥

كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية

شهر زاد : ترجم ونشر فى باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج لكونت عضو الأكاديمية الفرنسية فى دار نشر (نوفيل أديسيون لاتين) وترجم إلى الإنجليزية فى دار النشر (بيلوت) بلندن ثم فى دار النشر (كروان) بنيويورك فى عام ١٩٤٥ . وبأمريكا دار نشر (ثرى كنتننتزا بريس) واشنطن ١٩٨١ .

عودة الروح : ترجم ونشر بالروسية فى لينجراد عام ١٩٢٥ وبالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧ فى دار (فاسكيل) للنشر وبالإنجليزية فى واشنطن ١٩٨٤ .

يوميات نائب فى الأرياف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ (طبعة أولى) وفى عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وفى عام ١٩٧٤ و١٩٧٨ (طبعة ثالثة ورابعة وخامسة بدار بلون بباريس) وترجم ونشر بالعبرية عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الإنجليزية فى دار (هارفيل) للنشر بلندن عام ١٩٤٧ ــ ترجمة أبا إيبان ــ ترجم إلى الأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٨ وترجم ونشر فى السويد عام ١٩٥٥ ، وترجم ونشر بالألمانية عام ١٩٦١ وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١ .

أهل الكهف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دى فرانس ثم ترجم إلى الإيطالية بروما عام ١٩٤٥ وبميلانو عام ١٩٦٢ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٦ .

عصفور من الشرق : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى ،

ونشر طبعة ثانية فى باريس عام ١٩٦٠ .

عدالة وفن : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس بعنوان (مذكرات قضائى شاعر) عام ١٩٦١ .

بجماليون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

الملك أوديب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ ، وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتزا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

سليمان الحكيم : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (كنتننتزا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

نهر الجنون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

عرف كيف يموت : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

المخرج : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠

بيت النمل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٢ .

الزمار : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

براكسا أو مشكلة الحكم : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

السياسة والسلام : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

شمس النهار : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

صلاة الملائكة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الطعام لكل فم : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الأيدى الناعمة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

شاعر على القمر : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن ١٩٨١ .

الورطة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الشيطان فى خطر : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

بين يوم وليلة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٦٣ .

العش الهادئ : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

أريد أن أقتل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

الساحرة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٣ .

دقت الساعة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

أنشودة الموت : ترجم ونشر بالإنجليزية فى لندن هاينمان عام ١٩٧٣ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٥٣ .

لو عرف الشباب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

الكنز : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

رحلة إلى الغد : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ . وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتز بريس) بواشنطن عام ١٩٨١ .

الموت والحب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ .

السلطان الحائر : ترجم ونشر بالإنجليزية لندن هاينمان عام ١٩٧٣

وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٤ .

يا طالع الشجرة : ترجمة دنيس جونسون دافيز ونشر بالإنجليزية فى لندن عام ١٩٦٦ فى دار نشر أكسفورد يونيفرستي بريس (الترجمات الفرنسية عن دار نشر « نوفيل إيديسيون لاتين » باريس) .

مصير صرصار : ترجمة دنيس جونسون دافيز عام ١٩٧٣ .

مع : كل شيء فى مكانه .

السلطان الحائر .

نشيد الموت .

لنفس المترجم عن دار نشر هاينمان — لندن .

الشهيد : ترجمة داود بشاى (بالإنجليزية) جمع محمود المنزلاوى تحت عنوان « أدبنا اليوم » مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة — ١٩٦٨ .

محمد ﷺ ترجمة د. إبراهيم الموجى ١٩٦٤ (بالإنجليزية) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . طبعة ثانية مكتبة الآداب ١٩٨٣ .

المرأة التى غلبت الشيطان : ترجمة تويليت إلى الألمانية عام ١٩٧٦ ونشر روتن ولوننج ببرلين .

عودة الوعى : ترجمة إنجليزية عام ١٩٧٩ لبيلى ونـدر ونشر دار ماكملان — لندن .

الفصل الأول

فى السجن الانفرادى

« السجين : يمشي جيئة وذهابا ، يكلم نفسه ، في حركات عصبية !.... »

السجين : نعم ... أكلم نفسى ... لم يبق أحد يصغى إلىّ .... ولم يبق لى فى الحياة غير أيام ... وربما ساعات .. وبعدها الصمت الطويل ... سأشبع صمتا ... ولكنى لم أشبع كلاما .. ما من أحد يريد أن يستمع إلى كلامى ، بعد أن قلت ما قلت ، ولكنى لم أقل كل شىء !... إنهم يريدون أن أسكت ؛ لأن القضية انتهت .. وكلامى لم يعد له قيمة ولا أهمية بالنسبة إلى أحد ، أو بالنسبة إلى شىء ، حتى ولا بالنسبة إلى هذه الحيطان والقضبان !... كل شىء حولى ينظر إلىّ وكأنه يقول لى : انتهى كل شىء . فاذهب إلى المشنقة بلا ضجيج ... ولكن الحقيقة ؟... حقيقة ما حدث ... الحقيقة التى وراء الحوادث .. وراء القضبان ، وراء التحقيقات والملفات ... هذه الحقيقة التى أعرفها أنا ... أيريدون أن تذهب معى أيضا إلى المشنقة ؟... وبلا ضجيج !....

« يسمع صرير المفتاح فى الباب ، ويطل السجان برأسه » .

السجان : تكلم نفسك كالعادة ؟!...

السجين : نعم !... هل هذا ممنوع ؟!...

السجان : « **يختفي من الباب** » لحظة واحدة !...

السجين : لا تسألوني اليوم عن الطعام !.. هاتوا ما شئتم .. كفى مهزلة !.. كفى أسئلة يقطر منها اللطف المتصنع : « ماذا تريد أن تأكل ؟ .. ما هى رغباتك ؟ » ... رغبات المحكوم عليه بالموت !.. هذا الطعام الجيد علامة الموت القريب !.. تقدمونني إلى الموت ممتلىء المعدة بطعام ممتاز وفى فمى « سيجار » فخم ، كأني مسافر فى عربة « بولمان » ، إلى شاطىء البحر ! .. نعم .. بحر النهاية !.. لا ياسيدى السجان !.. لا أريد اليوم طعاما .. أريد كلاما !..

السجان : « **يعود فيظهر بالباب معلنا** » : الدكتور طبيب السجن !.. تفضل يا دكتور !..

الطبيب : « **يدخل ويخرج السجان ، ويغلق عليهما الباب** » أرجو أن تكون قد نمت ليلة هادئة .

السجين : جدا !..

الطبيب : إنى متأسف .. لم أستطع إقناعهم بقبول طلب نقلك إلى المستشفى الآن .. قالوا لى إنهم لاحظوا أنى أحابيك باعتبارك طبيبا !..

السجين : كنت ..

الطبيب : قالوا إن لك سوابق فى محاولة الهرب من المستشفى ، عندما نقلت إليه فى المرات السابقة ..

السجين : لو استطعت الهرب ليلة واحدة فقط .. أعدم فى فجرها .. فإنى أموت سعيدا !..

الطبيب : ليلة واحدة ؟! ... وماذا تصنع بهذه الليلة الواحدة ؟..

السجين : أشياء مهمة !..

الطبيب : ستمضيها مع زوجتك بالطبع ؟

السجين : سأعرف كيف أمضيها !..

الطبيب : لابد أنها جاءت لزيارتك هنا ؟...

السجين : وهل تظنها تجسر ؟...

الطبيب : ماذا تقصد ؟...

السجين : ألا تعرف ما أقصد ؟!... إنك تعرف جيدا ما أقصد، ولكنك لم تزل تعتقد كما يعتقد الآخرون أنى أكذب أو أهذى ... لماذا أكذب عليك أنت؟... سل نفسك هذا السؤال!... ما فائدة التمويه عليك أنت؟!... وأنت لا تملك لى شيئا ، وحديثى معك لن يقدم ولن يؤخر!... ما أنت إلا طبيب السجن ، تأتى لزيارتى بحكم عملك ، وإذا كنت تؤثرنى بالعناية ؛ فما ذلك إلا لعطف منك على زميل سابق فى المهنة!... لقد شاء كرمك ولطفك أن تصغى إلىّ ما مصلحتى إذن فى خداعك ؟...

الطبيب : لم أعتقد لحظة أنك تحاول خداعى .. ولكن ...

السجين : ولكنك غير مقتنع ...

الطبيب : حقا !...

السجين : لأنك صدقت كل ما جاء فى المحاكمة !...

الطبيب : كل ما جاء فى المحاكمة كان مبنيا على اعترافك أنت!...

السجين : نعم اعترفت ، لكن ...

الطبيب : واعترفت بشجاعة وصراحة جديرتين حقا برجل فى مكانتك !...

السجين : وهل كنتم تتوقعون أن أفعل غير ذلك ؟!... ما خطر لى قط الإنكار ، أو المراوغة !... اعترفت وانتظرت الجزاء !...

الطبيب : وقد وقع الجزاء ... ويحسن أن يسدل الستار !...

السجين : يسدل الستار ؟!... نعم كان يحسن ذلك ... تلك كانت نيتى بالفعل ، وأقوالى فى التحقيق منذ اللحظة الأولى تدل كلها على ذلك .. لم يخطر فى بالى أن أكشف أحدا ... ولكن عندما يتضح لى أخيرا أن الستار سيخفى خلفه آخرين ، يسرهم موتى ، وسينتفعون من موتى !...

الطبيب : أرجوك ... لا تعذب نفسك بهذه الفكرة ... أنت الآن فى حاجة إلى كل ساعة تمر ... ومن الخير لك أن تمضيها هادئا ناعم البال ...

السجين : أنت لا تريد أن تصدق ما أقول !...

الطبيب : وما فائدة ذلك الآن !...

السجين : نعم ، أعرف أن لا فائدة الآن ... لقد صدر الحكم ، ورفض النقض ، وأصبح الإعدام مؤكدا ... وغدا عند الفجر أو بعد غد ، يأتى من هذا الباب من يقودنى إلى المشنقة ، وينتهى كل شىء ... نعم أعرف ذلك ... أعرف ذلك جيدا ، ولكن هناك حقيقة ... حقيقة يجب أن تعرف ...

الطبيب : الحقيقة قد عرفت وبحثت ، وقد صورتها أنت بنفسك أمام المحكمة تصويرا صادقا .

السجين : أنت أيضا ... تعتقد أن تلك كانت كل الحقيقة ؟!...

الطبيب : لست أنا وحدى ... القضاء ...

السجين : القضاء لا يريد أن يعرف غير الحقيقة التى تهمه : وهى أنى قتلت ، واعترفت ، والأدلة ثابتة !... تلك هى كل الحقيقة التى تهم القضاء ، وهى فى نظره تستحق الإعدام ، وقد صدر به الحكم!... وانتهت القصة !..

الطبيب : ويحسن فعلا أن تنتهى عند هذا الحد ...

السجين : وتموت معى الحقيقة الكاملة ؟!...

الطبيب : ما دامت الآن لا تهم ، ولن يكون لها نتيجة ... لماذا إذن تعذب نفسك بها ؟!...

السجين : حقا ، لن تكون لها نتيجة !... ولكن موتى هو الذى سيحدث النتائج الطيبة بالنسبة إلى الآخرين!... هل فكرت فى أن زوجتى سوف ترث منى ، كما ورثت من زوجها الأول ؟!...

الطبيب : هذا حقها !...

السجين : نعم !... حقها .. حقها !!...

الطبيب : ما دام القضاء لم يجد على تصرفاتها غبارا!...

السجين : لأن كل شىء كان مدبرا بمهارة !...

الطبيب : اتهاماتك لها بعد المحاكمة لم يقم عليها دليل ، فأنت نفسك لم تتهمها بشىء فى كل مراحل القضية!..

السجين : لأنى ـــ كما قلت لك غير مرة ـــ لم أفطن إلى حقيقة المؤامرة إلا أخيرا .. لم أتنبه إلى ما يحاك حولى إلا فى نهاية المحاكمة ، عندما بدأ ذلك المحامى الشاب يترافع !..

الطبيب : كان رائعا فى مرافعته !..

السجين : حقا !.. ليطلب لى الرأفة ، ويثبت حبى الجنونى لتلك المرأة الجميلة التى استدعتنى لعلاج زوجها ، فدفعنى الحب إلى الجريمة .. دون علم منها .. أهذا معقول ؟.. أهذا معقول أن أرتكب جريمة كهذه دون علم منها ؟!.. أقسم لك .. أقسم لكم جميعا ، أنى لم أكن أحبها يوم بدأت أعالج زوجها .. كنت كأى طبيب يذهب إلى أى أسرة .. ولكنها هى .. هى .. هى التى كانت تعمل دائما على جذبى إلى منطقة شئونها الخاصة ! ... كانت تروى لى مأساة حياتها الزوجية مع هذا الوحش ؛ كما كانت تصفه ... نعم ! .. كانت تمثله لى فى صورة وحش ! ... استولى على حليها ، وجردها مما كانت تملك ، لينفق على عشيقاته ، ودفعها إلى مخالطة معارفه من رجال الأعمال ، ليجنى من وراء ذلك الصفقات المريبة ، وكان يأبى عليها الطلاق ؛ ليستغلها فى أحط المآرب ! .... وَغَدٌ لا خلاص لها منه إلا بموتها أو موته !؟ ... ووضعتنى أنا ، فى لحظة من لحظات انهيارها وتأثرى ، أمام هذا الاختيار : موته أو موتها ؟!.. قالت لى : « هذا متروك لك ... المهم

هو إنهاء مثل هذه الحياة الزوجية ، التى تأباها الإنسانية !.. »
إنى أذكر جيدا مقاومتى الأولى لهذه الفكرة ، بل وضحكى منها ! .. بالطبع ما خطر ببالى قط أن مثلى يقدم على ذلك ! .. وجعلت أمزح معها ، وأسرى عنها ... ولكن العجيب ما حدث فيما بعد ... كيف انتهى بى الأمر إلى أن تسربت الفكرة إلى تفكيرى الجاد ... ثم إلى التنفيذ ! .. كيف استطاعت هذه المرأة أن تفعل بى ذلك ؟!.. كيف استطاعت أن تستدرجنى إلى حبها .. حتى الجريمة ؟!.. أيمكن تصديق ذلك؟!...

الطبيب : من الصعب علىّ حقا تصديق ذلك ؛ فقد كانت فى المحكمة وديعة وداعة الزوجة الطيبة !..

السجين : أرأيت ؟! ... خدعتكم بمظهرها الوديع كما خدعتنى ، وأى خداع أكثر من قولها لى بعد زواجنا : « أنت منقذى وصانع حياتى ، وستكون لك هذه الحياة دائما !؟ .... » . وكانت هناك أغنية جديدة مطلعها : « حياتى لك طول الأبد » تذاع فى الراديو ...

الطبيب : « **مقاطعا** » آه .. على ذكر « الراديو » ... انتظر لحظة .. لحظة ..

« يحاول الخروج »

السجين : « **يستوقفه بشدة** » بل انتظر أنت .. واستمع إلى بقية كلامى كله .. إنكم تحاولون دائما الهرب منى

عندما أتكلم ... ولكن يجب أن أتكلم ... ويجب أن تستمع إلىّ ...

الطبيب : « يقف » تكلم ... ما دام هذا يريحك ... إنى مصغ إليك ! ...

السجين : قلت لك إن هذه الأغنية كانت تذاع ، وكانت هى تجلس بجوار الراديو تنسج لى «بلوفر» من «التريكو»!... نعم تصور؟! ... وكانت تنظر فى عينى وتقول :«حياتى أنا لك طول الأبد»؟!..وصدقتها أنا ... لكن هل تدرى كم كانت تقدر هى فى دخيلتها لهذا الأبد ؟!.. شهرين ! ... نعم دام زواجنا شهرين ثم ... ثم ظهرت الشكوى المجهولة إلى النائب العام وقبض علىّ ! ...

الطبيب : وكيف لم تشك من قبل أنها المرسلة لتلك الشكوى المجهولة ؟! ...

السجين : استطاعت بدموعها وحنانها الكاذب أن توهمنى أن أقارب زوجها المتوفى هم ولا شك مرسلوها.. إثارة للشبهات ... كى يعرقلوا إجراءات الميراث ! ...

الطبيب : ربما كان هذا معقولا ! ...

السجين : نعم ، حجة مسبوكة ... أليس كذلك ؟ ... ولهذا صدقتها أنا أيضا من مبدأ الأمر . وتحملت التهمة وحدى ؟! ..

الطبيب : ومع ذلك فقد شهدت هى لمصلحتك .. تذكر قولها فى المحكمة : إنها لا تعتقد أنك قاتل ، لأنها لو اعتقدت ذلك لحظة لما قبلت الزواج من قاتل زوجها ! ...

السجين : براعة ! .. ظاهر قولها الدفاع عنى ، ولكنه فى الواقع دفاع عن نفسها هى ، وتبرئة لها من تهمة الاشتراك .... نعم ... كانت بارعة فى كل شهادتها ! ... هذا أيضا جزء من المؤامرة ! ... كان يجب أن أفطن إلى كلامها البارع ذى الحدين .. ذى الوجهين كان يجب أن أفطن إليه فى الوقت المناسب ! ...

الطبيب : وما الذى جعلك تفطن آخر الأمر ؟ ..

السجين : نظراتهما الأخيرة .. النظرات المتبادلة بينها وبينه .. كان بينها وبين ذلك المحامى شبه تعاون خفى .. كنت ألمح بإحساسى تلك التيارات الداخلية بينهما ... تلك الراحة وذلك الاطمئنان كلما سارت المحاكمة نحو نهايتها المحتومة ... وكدت أكذب نفسى .. ولكنى تذكرت عندئذ ما كنت ألاحظه فى المنزل من اختلاء زوجتى بذلك المحامى الشاب ، وكانت هى تفسر لى ذلك بأنه من أجل الإجراءات القانونية الخاصة بالميراث .. كل شىء له عندها تفسير معقول .. وهنا البراعة الجهنمية !.. براعتهما ... كل شىء فى ظاهره طبيعى ومنطقى !.. ما من كلمة فى غير موضعها :

هى تقول عنى : « إنه برىء لأنى ما كنت أتزوج قاتل زوجى » ، وهو يقول : « قتل بدافع الحب » !... يا له من كلام برىء جميل ، ولكنه ذكى مدروس . نعم لقد دبرا كل شىء بدقة وبراعة وإحكام ! .. جعلا منى الآلة التى تحطم الزوج الأول ، ثم جعلا الآلة بعدئذ تحطم نفسها ، وبقيا هما طليقين ، ينعمان بحبهما وبثروة الأول والثانى !...

الطبيب : قصة سينمائية !.. أأنت متأكد أنك لم تشاهد من قبل شيئا كهذا فى شريط سينمائى ؟ ...

السجين : تهزأ بى ؟! ... فى هذه اللحظات ؟! ..

الطبيب : معذرة ! .. إنى أبعد ما أكون عن الهزء بك ... أنت تعلم مبلغ تقديرى لمكانتك العلمية ... ولكن هول الأحداث دائما والأرق والإجهاد العصبى ، كل ذلك كثيرا ما يجعلنا نتصور أشياء فى الأوقات الحرجة واللحظات الحاسمة .. كل ما أخشاه أن تكون هذه الأفكار تسربت إليك أخيرا ، لتفسد عليك راحة النفس التى تحتاج إليها الآن .. كم كنت أود أن أراك الساعة هادىء الفكر ، متقبلا مصيرك ! ..

السجين : بلا ضجيج ... نعم بلا ضجيج ...

الطبيب : لا بأس من ذلك الضجيج الآخر الذى أعرف أنك تحبه .. الموسيقى ! .. نسيت أن أقول لك إنى جئت الساعة لأخبرك بما هو أهم :

قد أحضرت لك جهازا للراديو ــ جهازى أنا الخاص ــ وافق مدير السجن على أن أعيرك إياه ...

السجين : « **بغير مبالاة** » أشكرك ! ..

الطبيب : إنه مع السجان .. لحظة واحدة ! ..

« يذهب إلى الباب ، ويطل برأسه خارجه ، ويشير بيده ، ثم يمدها إلى السجان ، ويأخذ منه جهازا للراديو على شكل حقيبة صغيرة ، كما يتناول منه غلافا كبيرا من الورق الأصفر ، ثم يشرع حالا فى وضع الجهاز فوق منضدة بجوار الفراش ، ويدير زره فتنطلق موسيقى مرحة ! .. »

الطبيب : « **مبتعدا عن المنضدة والغلاف بيده مصغيا إلى الموسيقى** » أليس هذا أفضل ؟! ...

السجين : « **غير مصغ إلى شىء** » ، نعم بلا ضجيج .. سأذهب كما تريدون .. بلا ضجيج ..

الطبيب : « **بصوت متوسل** » أنت طبيب كبير ، وتعلم أكثر منى أن إنفاق الجهد الجثمانى والعقلى فيما لا جدوى منه أمر ضار جدا .. أليس كذلك ؟ ..

السجين : وهو كذلك .. لن أفتح لك هذا الموضوع مرة أخرى .·. انتهى .. « **بغير اللهجة** » ما هذا الغلاف الذى بيدك ؟ ..

الطبيب : هذا كشف الأشعة الذى طلبته منى ! ..

السجين : « **مادا يده** » أرنى ! ..

« يتناول منه الغلاف ، ويذهب به قرب كوة يدخل منها النور ، ويخرج رسم الأشعة من الغلاف » .

الطبيب : يظهر أن الحالة كما شخصتها أنت بالضبط !...

السجين : «وهو **يفحص الأشعة** » كم سنها؟... قلت لى؟..

الطبيب : فى نحو الخامسة والعشرين ، تخرجت صغيرة فى كلية الطب ! .. إننى أكبرها بثلاثة أعوام ، وتخرجت معها فى نفس العام .

السجين : « **وهو مستمر فى فحصه** » متى تزوجتها ؟ ..

الطبيب : منذ عامين ... كانت هى قد عينت طبيبة فى مستشفى رعاية الأمومة ، وأنا عينت طبيبا فى هذا السجن ...

السجين : كانت تشكو دائما من هذا الخفقان ؟ ..

الطبيب : لا .. منذ شهرين فقط ..

السجين : هل هى تعمل كثيرا ؟ ...

الطبيب : أنها لا تكف لحظة عن العمل .. فى الصباح تعمل فى المستشفى وأحيانا فى المساء ، وتساهم فى تحرير مجلة طبية .. وتساعد فى الإشراف الطبى على إحدى الجمعيات الخيرية .. كل هذا عدا أعمال بيتنا التى تنهض بها كلها ، لست أدرى فى أى وقت ؟ ..

السجين : هذا إرهاق ! ...

الطبيب : قلت لها ذلك .. ولكنها ترى أن مرتبى ضئيل .. وأنها يجب أن تكد ، لتوفر لى مستوى مريحا من العيش ، وتأخذ الأمر ببساطة وتقول ضاحكة : « نحن جوادان فى عربة واحدة ، ولا أحب أن أتركك تجرها وحدك » ! ..

السجين : « **وهو يرد اليه كشف الأشعة** » زوجتك فاضلة يا سيدى وأهنئك بها ...

الطبيب : لم تجد شيئا ذا خطر ؟ ..

السجين : على الإطلاق ! ..

الطبيب : بجرد إجهاد ؟ ...

السجين : نعم ! .. فلتعمل أقل ولتأكل أكثر ! ..

الطبيب : الواقع ... لاحظت مرارا أنها تأكل أقل مما يجب!...

السجين : لتوفر لك أنت الأكلة الأدسم ! ...

الطبيب : هذا صحيح !؟ ...

السجين : « **شارد اللب** » نعم ! ...

الطبيب : « **وهو يضع الكشف فى الغلاف** » أشكرك يا دكتور ! .. لست أدرى كيف أشكرك !؟ ... وأنا أشغلك بشأن خاص لى ، فى مثل هذه اللحظات ، ولكنى لن أنسى فضلك أبدا ... ما من أحد من مرضاك يستطيع أن ينسى فضلك ... سوف يشعر الناس بالخسارة التى لحقتهم بفقد طبيب مثلك ... من أنبغ أطبائنا ..

« **ينطلق من جهاز الراديو صوت المذيع ، يعلن عن أغنية : حياتي لك طول الأبد** » .

السجين : « **وقد فوجىء يقف بلا حراك ، ويصغى لحظة إلى مطلع الأغنية ، ثم لا يتمالك ، ويهجم على جهاز الراديو ويغلقه بعنف** » ؟؟ ...

الطبيب : « **فى ارتباك** » إنى متأسف ! ..

السجين : لا ... لا شيء ... كل ما فى الأمر ... أنه لم تعد بى حاجة هنا الآن إلى موسيقى وغناء !...

الطبيب : إنى حقا آسف ... كنت أريد أن أدخل على نفسك شيئا من الراحة والهدوء !....

السجين : إنى هادئ !...

الطبيب : « وهو بتأمل لحظة » هل تسمح لى برجاء ؟ لى عندك رجاء واحد ... اترك التفكير فى الماضى ... أرجوك ... فكر فى ... فى ...

السجين : « هازئا » فى المستقبل ؟!...

الطبيب : « مرتبكا » أقصد !...

السجين : « مادا يده » إلى اللقاء يا صديقى العزيز ... إلى اللقاء !...

« الطبيب يصافح اليد الممدودة فى صمت وارتباك ويخرج حاملا حقيبة جهاز الراديو !...»

السجين : « **يعود إلى المشى فى سجنه مطرقا صامتا لحظة ثم يهمس** » المستقبل ؟!... المستقبل هو حبل فى عنقى ، وخاتم الخطبة فى إصبعها !...

الطبيب : « **يظهر بالباب** » معذرة !... عدت إليك ؛ لأخبرك أنى ذاهب الآن إلى مدير السجن ... هل لك طلبات خاصة ؟...

السجين : طلبات خاصة ؟!... مثل ماذا ؟!... فواكه ؟... كتب ؟... صحف ؟... لا يا سيدى أشكركم !..

الطبيب : ثق أن أى طلب تطلبه سأبذل كل جهدى كى أحققه لك !...

السجين : أى طلب أطلبه ؟!...

الطبيب : نعم .. كن على ثقة !...

السجين : ليس لى الآن غير طلب واحد ! ..

الطبيب : ما هو ؟ ...

السجين : أضع أصابعى حول عنق زوجتى ! ...

الطبيب : « **ينظر إليه مليا ، ولا يدرى بماذا يجيب** » ؟؟!...

« **تسمع جلبة تقترب .. ثم يظهر السجان** ... »

السجان : « **معلنا** » سيادة المدير ! ..

المدير : « **يدخل** » كيف الحال ؟ .. أرجو أن تكون مرتاحا ، وأن تكون كل طلباتك مجابة ؟ ..

السجين : حقا ! .. كل طلباتى ! ..

المدير : « **ملتفتا إلى الطبيب** » والصحة على ما يرام ؟ .. أليس كذلك يا دكتور ؟ ..

الطبيب : بالطبع .. إنى أزوره كل يوم ! ..

المدير : « **للسجين** » فعلا .. الدكتور يبلغنى أولا فأولا عن حالتك الصحية ، وعن كل ما يلزم لك ! ...

السجين : أشكركم !...

المدير : جئت إليك الساعة فى أمر هام .

السجين : طبعا تشريف سيادتك بالمجىء إلى هنا يقترن دائما بأمر هام .. وأعرف ما هو هذا الأمر الهام .. إننى على استعداد .. غدا فى الصباح ؟ .. أليس كذلك ؟ ..

المدير : كيف عرفت ؟!.. أقصد ..

السجين : هذا لا يهم .. ثقوا أنى على استعداد ! ..

المدير : هـذا غـير صحـيح ... يـوم التنفيـذ غير معـروف بعـد... ولم أجـئ إليـك الآن لأمـر يتعلـق بالتنفيذ !..

السجين : مفهوم ! ... التعليمات تقضى بإخفاء موعد التنفيذ عن المحكوم عليه ، حتى يفاجأ بذلك .. عنصر المفاجأة ضرورى عندكم أنتم أيضا ... كما هو فى قصص السينما ... ولكن المفاجأة عندكم مكشوفة ... فلا ضرورة للإخفاء .. إنى أعرف وكفى ! ..

المدير : ثق أنى لم أجئ إليك الآن إلا لأبلغك بأمر زيارة تهمك !...

السجين : زيارة ؟! ..

المدير : السيدة زوجتك جاءت لزيارتك ! ..

السجين : زوجتى هنا ؟! ...

المدير : أهذا يدهشك ؟ ... هذا طبيعى كما قالت ...

السجين : أين هى ؟ .. أين هى ! ...

المدير : فى مكتبى ... التعليمات تقضى بأن تقابلها فى مكتبى ، ولكنى رأيت أن أحادثك هنا أولا قبل ذلك ؛ لأسألك هل تريد أن تقابلها ؟؟... إنها هى التى طلبت أن أستفسر منك ؛ لأنها كما قالت لى لا تحب أن ترغمك على رؤيتها إرغاما .. فالأمر متروك لك ! ..

السجين : فى مكتبك ؟! .. إنها فى مكتبك الآن ؟؟ ..

المدير : نعم ... ما رأيك ؟ ...

السجين : « **هامسا من بين أسنانه** » وقعت !..

المدير : ماذا تقول ؟ ..

السجين : أقول إنى مبتهج بزيارتها .. زوجتى العزيزة ! .. جاءت تودعنى الوداع الأخير .. كيف أرفض مقابلتها ؟! .. كيف أحرم عينى النظر إليها فى ساعتى الأخيرة ؟! ..

المدير : قبلت أن تراها إذن ؟ ..

السجين : بل إنى سعيد .. سعيد أن أراها .. ما كنت أحلم بذلك!..

المدير : سأذهب إذن ، وأدعوك بعد قليل ، وستتم المقابلة بحضورنا كما تقضى التعليمات ! ...

السجين : بل على انفراد ... أرجوك !... أرجوك أن يكون لقائى بها هنا !...

المدير : هنا ؟ .. فى سجنك هذا ؟! ..

السجين : وعلى انفراد .. على انفراد ..

المدير : ولكن هذا مستحيل ! ...

السجين : لا شىء مستحيل إذا أردت أن تكون كريما .. زوج سيموت فى الغد يلتمس إليك الاختلاء بزوجته لحظة .. لماذا يكون هذا مستحيلا ؟! ..

المدير : أولا التعليمات ...

السجين : وثانيا ؟ ...

المدير : ثانيا اتهامك إياها أخيرا بجريمة الاشتراك ..

السجين : وماذا فى ذلك ؟ .. أليس من حقى الدفاع عن نفسى بكل الوسائل ؟ .. ولو باتهام الغير .. ولكن كل شىء انتهى الآن ، وأنا أمام التنفيذ ، وزوجتى هى زوجتى ، ومن حقى أن أودعها الوداع الأخير!...

المدير : ألم يبق فى نفسك شىء نحوها ؟ ...

السجين : لم يبق إلا المودة والمحبة ! ...

المدير : إنها لا تعلم أن المقابلة ستكون على انفراد ... لقد جاءت للزيارة المعتادة حسب التعليمات ! ..

السجين : إذا تفضلت وسمحت لنا بدقيقة واحدة ، فإنها ولا شك سترى الأمر طبيعيا ، وستشكرك عليه كما أشكرك .. إنك يا سيدى المدير كنت تعاملنى بكرم ونبل مدة وجودى فى هذا السجن . ولن أنسى كرمك ونبلك .. لا أقول مدى حياتى لأن حياتى لم يبق فيها غير ساعات ... ولكنى أقول مدى حياة الإنسانية ... إنى أعتقد أنك ستصغى إلى التماسى وتضحى بكل التعليمات إصغاء لضميرك الإنسانى !..

المدير : « **مفكرا لحظة** » تريد الاختلاء هنا بزوجتك ؟..

السجين : دقيقة واحدة ! ..

المدير : « **ملتفتا إلى الطبيب** » ما رأيك أنت يادكتور؟...

الطبيب : « **مرتاعا** » رأيى أنا ؟ ..

المدير : « **متعجبا** » ولماذا ارتعت هكذا ؟...

الطبيب : أنا ؟...أنا ؟...

السجين : أنه لا يجد فى ذلك بأسا ، ما من أحد يرى فى وداع زوجين ساعة الموت ما يدعو إلى التردد ...

المدير : « **للطبيب** » هل لديك اعتراض يا دكتور ؟...

الطبيب : إنى ... أسأل فقط عن ضرورة الانفراد ...

السجين : عجبا يا دكتور !... ألا ترى هناك ضرورة فى اختلاء زوجين ؟... سيفرق بينهما الموت بعد ساعات!!...

الطبيب : « فى رجفة » لماذا الانفراد ؟ لا ... لا ..

المدير : تعارض الانفراد يا دكتور ؟...

الطبيب : لا أجد له ضرورة مطلقا ؟...

المدير : ولكن ما هى أسباب اعتراضك ؟...

الطبيب : ماذا سيفعل ؟...

السجين : ماذا سأفعل ؟!... هل من الضرورى أن أقول صراحة ماذا سأفعل ؟!... هل من الضرورى أن أصرح بأنى أريد تقبيل امرأتى ؟!...

الطبيب : على انفراد ؟!..

السجين : نعم ، على انفراد ، ليس فى استطاعة كل إنسان أن يعرض عواطفه على الناس ، وأن يقبل امرأته أمام الآخرين!..

المدير : « للطبيب » إنه على حق فى هذا !..

الطبيب : إنى .. إنى أعارض ..

السجين : دع سيادة المدير يقدر الموقف بحسن تصرفه وشجاعة رأيه .. إنه من أولئك الذين يتحملون وحدهم المسئولية ، تجاه المواقف التى تدعو إليها الشهامة والنبل والكرم ، إنى واثق من ذلك !..

المدير : « حاسما » وهو كذلك .. سأتحمل المسئولية وحدى ، وأنت يا دكتور لا تخف !.. التعليمات لا تسمح حقا ، ولكن ما دمت لا أجد سببا قويا للاعتراض فإنى متحمل عنك وعن الجميع كل

النتائج .. سأرسل الزوجة هنا .. ولكن لخمس دقائق فقط ! ...

السجين : لدقيقة واحدة ! ..

المدير : « منصرفا » اتفقنا .. ستكون زوجتك عندك بعد لحظة ! ..

السجين : شكرا جزيلا ! ..

« يخرج المدير ويبقى الطبيب »

الطبيب : « **مرتجفا** » أتوسل إليك ! ..

السجين : ما الذى يبقيك ؟ .. الآن اتركنى وحدى ! ..

الطبيب : أتوسل اليك ألا تقدم على هذا ! ..

السجين : أأنا الذى ذهبت إليها ؟!.. إنها هى التى جاءت .. جاءت إلى أنا بقدميها لتلقى الجزاء !..

الطبيب : إنك لست قاضيها .. دع عقابها لغيرك !...

السجين : القضاء لن يكشف حقيقتها ... ما من أحد غيرى يعرف كل الحقيقة عنها ... كل أدلة اتهامها هنا فى صدرى ... ملفات جرائمها لا تحويها المحاكم ... لأن هذه المرأة كانت أبرع من أن تترك أثرا يدينها ... ملفاتها هنا عندى ... فى هذا الصدر ؟...

الطبيب : قدر احتمال الخطأ فى حكمك عليها !...

السجين : ليس هناك أى خطأ محتمل !...

الطبيب : هل سمعت دفاعها !...

السجين : سمعت ولمست أفعالها !...

الطبيب : لو أنها كانت تعتقد أنها أجرمت فى حقك لما جاءت لزيارتك الآن من تلقاء نفسها !... أنت نفسك استبعدت ذلك ، وقلت إنها لن تجسر ..

السجين : إنها أبرع منى فى التقدير ... لقد جسرت وجاءت كى تنقذ المظاهر ... ليبدو كل شىء طبيعيا ... ولو لم تفعل لقال الناس : « كيف يعدم زوجها ولا تزوره قبل الإعدام ؟!... » إنها أسرع إدراكا منى لهذه الأمور ... وعندما علمت الساعة بمجيئها فهمت فى الحال غرضها !...

الطبيب : لتنقذ المظاهر ؟!...

السجين : ليست هذه أول مرة ! ... سبق أن ذرفت الدموع على زوجها الأول ، المأسوف عليه ، لتنقذ المظاهر وتضمن الميراث !... إنها تعرف جيدا كيف تذرف الدمع الكاذب فى الوقت المناسب ... وهذا ما ستفعله غدا أيضا بعد موتى !..

الطبيب : برغم ذلك كله أستحلفك أن تقلع عن فكرتك ... يكفيك جريمة واحدة !...

السجين : الجريمة الأولى كانت لحسابها ... دعنى أجرم مرة لحسابى !...

الطبيب : لا تلوث يدك !... أنت لست ذلك الرجل ... أنت لست مجرما .. لست مجرما حقيقيا .. أنت طبيب ممتاز وعالم نابغ ، أوقعته المقادير فى ظروف سيئه .. أنت فى نظرى تنطوى على إنسانية طيبة ، وما كانت جريمتك إلا بدافع إنسانى ! ..

السجين : « **يضحك بمرارة** » دافع إنسانى !... حقا .. لقد ذكرتنى بالدافع الإنسانى !.. حتى هذا الشرف جردتنى منه هذه المرأة !... أنسيت ما قرره الشهود فى الجلسة عن القتيل ؟! .. لقد ظهر أنه لم يكن وحشا .. بل كان زوجا طيبا ورجلا لا غبار على سيرته ... ألم تر أنت تلك المهزلة ؟!.. لم أقتل إذن فى الحقيقة لأنقذ الإنسانية من وحش ، بل قتلت رجلا طيبا لا يستحق الموت .. لقد صعقت عندما كشف الشهود لى عن ذلك .. واحتقرت كذب هذه المرأة ... ولكنى عدت فخادعت نفسى وقلت : إنها لم تكن تحب زوجها ، والمرأة التى لا تحب ترى الزوج وحشا . إنها كذبت للخلاص ؛ لأنها كانت تحبنى أنا .. وهذا الحب بيننا يستحق فى ذاته الثمن الباهظ !... ولكن ... تصور بعد ذلك الاكتشاف الأعظم .. إنها لم تكن تحبنى قط !... وإنى لم أكن أكثر من ألعوبة فى يدها ويد حبيبها الحقيقى !... ألعوبة كذبت عليها وغررت بها ، ودفعتها إلى قتل مجرد من كل دافع إنسانى ... قتل دنىء حقير يأباه الشرف والضمير ...

الطبيب : ولكنك أنت كنت تعتقد أن الدافع إنسانى ... اعتقادك وحده يكفى ... فلا تفقد إنسانيتك ... أرجوك !... أرجوك !...

السجين : لقد رجوتنى بما فيه الكفاية !...

الطبيب : ستصغى إذن إلى رجائى ؟...

السجين : اذهب الآن واتركنى !..

الطبيب : هل تعدنى !...

السجين : لن أعد بشىء ...

الطبيب : ستفعلها حقا ؟!...

السجين : « **بإصرار** » هذا شأنى !...

الطبيب : وما موقفى أنا الآن ؟...

السجين : وما دخلك أنت ؟...

الطبيب : كيف أعلم بما تضمر وتدبر .. كيف أعرف أن جريمة ستقع الساعة ولا ...

السجين : « **مقاطعا** » أنت لم تسمع منى شيئا ... انس كل ما أفضيت به إليك !... ليس من حقك أن تستخدم سرا لم أبح به لأحد غيرك !.. إنى وثقت بك ، ولولا هذه الثقة ما انفرجت شفتاى عن مثل هذا الكلام الذى قلته لك !... كل ما يجب أن تفعله الآن هو أن تخرج من هنا هادئا صامتا ، وأن تدفن معنا كل ما تعرف ..

الطبيب : معكم ؟!..

السجين : نعم معنا ... أنا وهذه المرأة !...

الطبيب : وضميرى ؟... ماذا أفعل به ؟... هل أستطيع أن أدفنه معكما ؟!....

السجين : ضميرك ؟!... ماذا يقول لك ضميرك ؟... أن تذهب وتبلغ وتصيح لتمنع ما سيقع ؟...

الطبيب : أليس هذا واجبى ؟...

السجين : « **بعد لحظة تفكير** » نعم .. ربما .. إنك تفكر فـى ضميرك وفى واجبـك .. ولا تفكـر فـىّ أنـا .. فـى العذاب الذى أنا فيه .. والنار التى تأكل جوفـى .. إنى لم أفكر فى ضميرى وواجبى ، عندمـا أقدمـت على إنقاذ امرأة خلتها تتعذب !... يـا لأنـانيتك ! كلامك ظـاهره الحـق أنـت أيضـا !.. ولكنـه الحـق الـذى فـى جـانبك !.. الحـق الـذى يهمـك أنـت أيضا .. الحق الذى يغطيك ويسترك ويجعلك مصيبـا فـى نظر نفسـك .. ويظهـرك شـريفا فـى نظـر الآخريـن ... نعـم .. سـترضى عـن نفسـك بهـذا الضمـير وهـذا الواجـب ، وسـيرضى عنـك الآخرون !... وهنيئـا لـك نفسـك يـا سـيدى !... ضميرك وواجبك ونفسك .. نفسـك !... ولكنـى أرجـو مـنك السـاعة أن تفكـر فـى شـىء غـير نفسك !... شـىء صـغير جـدا .. لا يكلفك عسـرا لأنى لا أرضى أن أحمـلك مـا يثقـل عليـك .. لا أطلب منك غير أمر بسيط : أن تنصرف من هنا فى سكون ، ناسيا نفسك قليـلا ، ناسـيا كلامـى لمـدة لحظات ... افعل هذه التضحية من أجلـى !... مـن أجل زميل سابق ، شقى ، تعـس ، تحطمـت مهنتـه وسمعتـه وكـل مـا حصـل عليـه مـن علـم ودرس وبحـث .. تحطـم كـل هـذا بفظاعـة وحماقـة ... وسيموت فى الصباح !...

الطبيب : « **هامسا** » أنا .. أسكت ...

السجين : نعم !... تسكت فقط ... تلك هى كل التضحية التى أطلبها منك ... لمدة لحظات !...

الطبيب : « يهمس » إنى ...

« أصوات فى الخارج »

السجين : ها هى ذى قادمة ...

الطبيب : ماذا ... أصنع ؟...

السجين : تنصرف فى الحال ، صامتا ، وتتركنى معها ... أفاهم ؟.. لا كلمة .. ولا حركة .. ولا إشارة ...

الطبيب : « **ناظرا إلى الباب فى اضطراب** » ها هى ذى قادمة !..

السجين : « **فى صوت متغير** » : نعم !... اذهب الآن .. بمجرد ...

(صرير المفتاح فى الباب ... ثم يفتح ويظهر المدير وخلفه رجل وقور فى يده أوراق ...)

الطبيب : « **هامسا متنفسا الصعداء** » : لم تحضر !...

السجين : « **فى غضب ويأس** »: أين هى !.. أين هى ؟...

المدير : جئنا إليك بخبر أهم بكثير ... خبر قد يغير من مصيرك !...

السجين : يغير من مصيرى ؟!...

المدير : بالتأكيد ... فقد يمنع من تنفيذ حكم الإعدام !...

السجين : ألم تبلغونى أن النقض قد رفض ؟!...

المدير : هذا أمر لا علاقة له بالنقض ... النقض قد رفض فعلا ، وحدد للتنفيذ موعد قريب جدا.. لست فى حل من الإفضاء به إليك صراحة ، ولكن ...

بالنسبة إلى الظروف الجديدة ، يصح أن ألمح لك بصفة خاصة أن هذا الموعد يقدر الآن بالساعات هل فهمت ؟..

السجين : كان هذا شعورى كما قلت لكم !...

المدير : قد يلغى التنفيذ إذا وافقت على العرض المقدم ..

السجين : أى عرض ؟؟...

المدير : عرض مقدم من إحدى الجهات العلمية .. وسيادة الأستاذ .. « **يشير إلى الرجل الوقور** » هو مندوب عنها .. الموضوع باختصار ... أظن الأنسب أن يتولى سيادة المندوب شرح الموضوع بنفسه ...

المندوب : « **يتقدم نحو السجين ناظرا حوله** » طبعا الموضوع سرى جدا...

المدير : اطمئن يا أستاذ ... ليس معنا من يخشى منه... « **يشير إلى الطبيب** » الدكتور طبيب السجن ، وهو محل ثقة !...

المندوب : أدخل إذن فى الموضوع بدون مقدمات .. المسألة فى كلمتين أنه قد تمت الترتيبات النهائية لإطلاق صاروخ إلى الكواكب البعيدة . وهذا الصاروخ معد لحمل إنسان ، وقد جرى البحث عن هذا الإنسان ... وأخيرا اهتدينا إليك .. والعرض المقدم هو أنه فى حالة قبولك القيام بهذه الرحلة ، فإن حكم الإعدام يلغى .. هذا القرار تم بالاتفاق مع الجهات الحكومية المسئولة ! ...

السجين : يلغى بصفة نهائية ؟!...

المندوب : بالطبع !...

السجين : وإذا عدت من هذه الرحلة حيا ؟...

المندوب : لو فرض أن عدت حيا فسوف تكون بالطبع حرا !..

السجين : وهل هناك احتمال فى أن أعود ؟ ..

المندوب : بصراحة ؟...الاحتمال ضعيف جدا ...

السجين : كم فى المائة ؟ ...

المندوب : واحد فى المائة !...

السجين : أكون مغفلا إذا ترددت فى القبول ... بعد ساعات ستكون النسبة صفرا فى المائة ... فالواحد فى المائة إذن كسب كبير .. أليس كذلك ؟ ...

المدير : بدون شك !...

السجين : طبعا .. مهما يكن من أمر .. واحد فى المائة خير من صفر فى المائة .. لقد قبلت يا سيدى !..

المدير : فى هذه الحالة مطلوب توقيعك ...

السجين : بكل سرور !!...

المندوب : « يقدم أوراقه » هنا على هذه الأوراق !...

السجين : أريد أن ألقى على سيادة المندوب سؤالا : ما سبب اختيارى أنا بالذات لهذه الرحلة ؟...

المندوب : تقرر أن يكون الاختيار من بين من سينفذ فيهم حكم الإعدام ؛ لأن الهيئة العلمية رفضت رفضا باتا قبول أحد من المتطوعين العاديين فى الوقت الحاضر !..

السجين : مفهوم !..

المندوب : طبعا .. لا أخفى عليك .. فى الوقت الحاضر لا يصح التضحية بمتطوع عادى ..

السجين : حتى وإن قبل هو وألح فى الطلب ؟...

المندوب : ما من هيئة علمية أوجهة رسمية ترتكب تحريضا على الانتحار .. أو توافق على الاشتراك فيه ..

السجين : ولكن بالنسبة إلى مثلى .. الهيئات العلمية والجهات الرسمية مرتاحة الضمير ! ...

المندوب : بدون شك ! ..

السجين : هذا شىء يسرنى .. لقد أرحت ضمير القضاء ... وهأنذا أريح ضمير الهيئات العلمية والجهات الرسمية !...

المندوب : لقد سرنا اختيارك بوجه خاص ... لأن التفضيل متجه إلى رجال العلم ، من أطباء ومهندسين وغيرهم ، فهم الذين يستطيعون تقديم المعلومات الدقيقة باللاسلكى والتلفزيون ، أثناء الرحلة .. ولقد كانت الصعوبة دائما فى العثور على أحدهم الآن بين المحكوم عليهم بالإعدام !..

السجين : هأنتم قد عثرتم على الطلب المنشود !...

المندوب : هذا من حسن حظ العلم !...

المدير : ومن حسن حظنا فى هذا السجن ، فلقد كان من أبغض الأشياء إلى نفسى ونفوس زملائى أن نضطر إلى تنفيذ ذلك الحكم الرهيب ، فى رجل علم ممتاز مثلك ...

الطبيب : « **بحرارة وإخلاص** » : حقا ! ...

السجين : شكرا !..

المدير : تسمح الآن بالتوقيع ؟....

المندوب : « **يخرج قلمه ويعرض أوراقه على المنضدة** » هنا...

السجين : « **وهو يتناول القلم ويوقع** » واحد فى المائة خير من صفر فى المائة !...

الطبيب : إنى سعيد .. حياتك التى عشتها للعلم ستظل تخدم بها العلم وتنفع الإنسانية ... هذا شرف جدير بك .. إنى سعيد .. ما رجوته لك قد تحقق...

السجين : « **للمدير** » وزوجتى ؟... متى أقابلها ؟...

المدير : أظن هذا غير ممكن الآن ... الزيارة قد ألغيت .. لأنك منذ هذه اللحظة ستصبح تحت تصرف البوليس والهيئة العلمية !

المندوب : نعم ... ولابد أن تمضى معنا لإجراء بعض الاختبارات اللازمة ...

السجين : وزوجتى ؟... زوجتى ؟...

المندوب : مع الأسف .. ليس هذا من اختصاصى .. أمر حراستك وزياراتك هو فى يد رجال الحفظ ، وهم يصرون على الرقابة المشددة ، حتى صعودك إلى الصاروخ ... لكن يمكنك على كل حال تقديم طلب برؤية زوجتك إلى المسئولين ...

السجين : « **ثائرا** » ما هذا الكلام ؟.. ألم تعدنى يا سيدى المدير ؟ ... ألم تعدنى ؟..

المدير : كل شيء قد ألغى الآن .. التنفيذ ذاته قد ألغى ..

السجين : وعدتنى أن أراها على انفراد .. على انفراد ...

المدير : أنت ترى الظروف قد تغيرت كلها .. سيادة المندوب فى انتظار الإجراءات .. وسأمضى حالا لتدبير أمر خروجك ونقل العهدة إلى البوليس .. وأنت أيضا يجب أن تعد نفسك للانتقال معهم ..

المندوب : « **للمدير** » أتسمح لى بالاتصال التليفونى ؟...

المدير : من مكتبى إذا سمحت ... تفضل !...

المندوب : « **للسجين قبل أن يغادر المكان** » أريد أن أحييك وأن أقدم إليك أطيب التمنيات !...

المدير : « **للسجين وهو منصرف** » وأنا أيضا أتمنى لك من كل قلبى أن تعود سالما حرا...

الطبيب : «**يصافح السجين**» مرة أخرى أقول لك إنى سعيد!..

المدير : « **على عتبة الباب** » ألا تأتى معنا يادكتور ؟..

الطبيب : « **وهو يشد على يد السجين** » إنى آت حالا ..

السجين : « **هامسا للطبيب** » إياك أن تتكلم ! ..

الطبيب : « **همسا** » لن أتكلم !.. ولكنى أرجوك .. أرجوك مرة أخيرة ... إنها لمعجزة ألا تموت كالمجرمين ... لأنك لست مجرما .. ولن تكون .. « **يشد على يده بقوة ويخرج سريعا خلف المدير والمندوب ، ويغلق الباب على السجين ..** » .

السجين : « **وحده صائحا** » لابد أن أراها .. لن تفلت من يدى ! .. ولو ذهبوا بى إلى سابع سماء ! ..

الفصل الثانى

فى الصاروخ

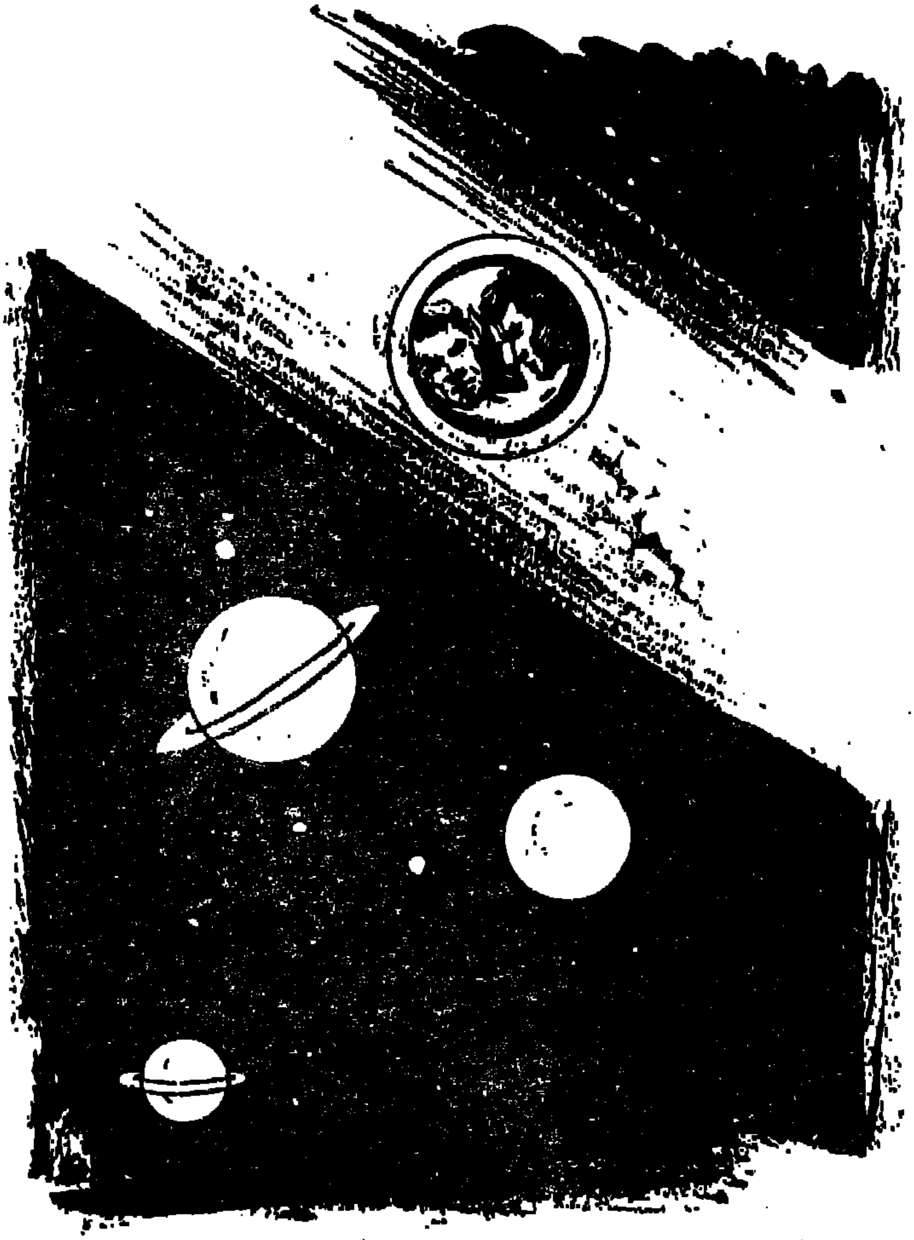

(السجين ممدود فوق مقعد ، فى شبه حجرة أسطوانية الشكل بها أجهزة وآلات ..)

السجين : « **يستيقظ** » ما هذا النوم الثقيل ؟ ... والتنفيذ فى الصباح ! .. لم أنم قط مثل هذا النوم !... « **يتلفت حوله** » لكن .. ما هذا ؟.. إن هذا ليس السجن الذى كنت فيه ...لا .. قطعا !... نعم ، نعم .. أدركت الآن .. نقلونى فى سيارة مغلقة تحت الحراسة .. الصاروخ !... آه تذكرت .. الصاروخ المتجه برأسه إلى السماء !... أدخلونى وكشفوا عن ذراعى وحقنونى .. وهذا كل شىء ... وأنا الآن أصحو من تأثير المخدر .. هذا لا شك فيه .. أنا الآن إذن داخل الصاروخ ... نعم هو بعينه ... هذه الآلات والأجهزة !... لكن ما باله واقفا .. لم يتحرك بعد ؟!.. أتراهم أجلوا إطلاقه إلى وقت آخر ؟... إذن هل أظل هنا طول الوقت ؟!.. (**ينهض**) لابد أن يكون هذا الصاروخ مغلقا بإحكام .. نعم .. فهم ليسوا بالحمقى !.. إنهم حريصون على أن ينقلونى من سجن إلى سجن ... ما هذا ؟.. « **يصغى مليا** » ما هذا الصوت ؟... هذا صوت غطيط ... مؤكد!... صوت غطيط ... إنى لست وحيدا هنا .. هنا شخص !...

« يمشى فى المكان باحثا ، وإذا هو يعثر فى الجهة المقابلة على مقعد آخر ممدود فوقه رجل نائم» .

من هذا النائم هنا ؟.. آه ... لابد أنه المعين لحراستى إلى أن يحين وقت انطلاق القذيفة !.. سجانى الجديد .. المؤقت !... لم يجد ما يفعل هنا غير النوم !... إنه ينام كما لو كان مخدرا هو الآخر .. « يهزه » بل إنه مخدر بالفعل !... لكن لماذا يخدرونه هو أيضا ؟!... على كل حال يبدو عليه قرب التنبه... وعندئذ أسأله عما أريد معرفته .. فى رأسى أسئلة عن أشياء كثيرة !... ها هو ذا يحرك أهدابه... لا شك أنه حقن بعدى بوقت طويل ...

الرجل الآخر : « يستيقظ » أين أنا ؟...

السجين : أين أنت ؟... وأين كنت ؟... ولماذا جئت؟.. سأوفر عليك كل هذه الأسئلة ، وأبادرك بالإجابة : أنت أولا ، فى الصاروخ ..

الرجل الآخر : الصاروخ ؟!... نعم !...

السجين : نعم ... ثانيا ، جئت لتحرسنى ... إلى قبيل الانطلاق ... وبعد ذلك لا أدرى ماذا هم صانعون بك .. أنت سجانى المؤقت ، فقم بسرعة من فضلك ، لأنى فى حاجة إلى خدمة منك ...

الرجل الآخر : « ناظرا إليه » من أنت ؟...

السجين : أنا سجينك طبعا ... من أكون غير السجين الذى جاءوا به إلى هنا ... وهأنتذا ترى أن الموعد قد تأجل ... وعندما نقلونى من سجنى التمست منهم مقابلة زوجتى ... على انفراد ... فزعموا أن الوقت لا يسمح ، ولم يأذنوا إلا بوداع سخيف بين جمع من الناس ، اختصروه مع ذلك بجذب

ذراعى وغرس الإبرة فيها ... هذا كل ما أذكر أنه حدث !... أما الآن وقد تأجل الموعد ، ونحن فى الانتظار .. فما الذى يحول دون مقابلة زوجتى ؟... ؟.. هنا إذا شاءوا ... على انفراد .. ما المانع ؟.. هل هناك مانع ؟.. تكلم !... لماذا تنظر إلى هكذا بهذه النظرات البلهاء ؟!... انهض من فضلك وبلغهم هذا الطلب المعقول ...

الرجل الآخر : تقول إنك سجين ؟...

السجين : ومن أكون ؟!...

الرجل الآخر : آه !... أنت أيضا سجين ؟...

السجين : أما كنت تعرف ذلك من قبل ؟!...

الرجل الآخر : كنت أظن أنى وحدى ها هنا .. لم يقولوا لى إنه سيصاحبنى زميل !...

السجين الأول : زميل ؟!... أنت إذن ... سجين مثلى ؟!..

السجين الثانى : ومحكوم عليه بالإعدام !...

السجين الأول : أنت أيضا ؟!...

السجين الثانى : وأنت طبعا !...

السجين الأول : طبعا ؟...

السجين الثانى : تشرفنا !... يدهشنى أنهم لم يعنوا بتقديم أحدنا إلى الآخر ، من أول الأمر !...

السجين الأول : تركوا لنا هذا السرور نفاجأ به ... كان عندهم ما هو أولى بإنفاق الوقت .. كانوا حريصين على الوقت .. لم يكن وقتهم يسمح بشىء ...

السجين الثانى : هل معنا غيرنا هنا ؟...

السجين الأول : لا أدرى .. كل شىء جائز الآن .. قم بنا نبحث ..

السجين الثانى : نعم !.. فلنبحث معا .. ابحث أنت هناك فى الجانب الآخر ؟..

« يبحثان فى كل أنحاء الصاروخ »

السجين الأول : لا .. لا يوجد غيرنا هنا ..

السجين الثانى : لم يجدوا غيرنا إذن ؟..

السجين الأول : أو قل لم يجدوا من لهم مواهبنا !..

السجين الثانى : « **يلتفت إليه فاحصا** » ماذا كانت مهنتك ؟...

السجين الأول : طبيب !...

السجين الثانى : وأنا مهندس ...

السجين الأول : ألم أقل لك ؟!... إنهم لا يختارون لهذه الرحلة أى شخص ... أغلب الظن أنك تفهم كل هذه الآلات والأجهزة التى حولنا ؟..

السجين الثانى : بالتأكيد...إنى متخصص فى العلوم الكهربائية والذرية !..

السجين الأول : والآن ... ما الذى يجعلهم ينتظرون ؟...

السجين الثانى : ينتظرون ماذا ؟!...

السجين الأول : إطلاق هذا الصاروخ !... لماذا لم يطلقوه حتى الآن ؟!.. لماذا أدخلونا وخدرونا وأغلقوا علينا ، ثم تركونا فى موضعنا ؟!... أليس من حقنا أن نسألهم عن موعد اطلاقه ؟! ...

السجين الثانى : ولكنهم أطلقوه ...

السجين الأول : أطلقوه ؟!..تقصد ..أننا الآن داخل صاروخ انطِلق ..

السجين الثانى : ولا يزال منطلقا .. فى الفضاء ...

السجين الأول : ما هذا الذى تقوله ؟!.. نحن الآن فى الفضاء ؟!..

السجين الثانى : ننطلق بسرعة .. انتظر لحظة حتى أقرأ مؤشرات الأجهزة ...

« يقترب من بعض الأجهزة ويقرأ الرقم »

بسرعة سبعين ألف ميل فى الساعة ...

السجين الأول : نحن الآن نسير بسرعة سبعين ألف ميل فى الساعة ؟!...

السجين الثانى : نعم !...

السجين الأول : وتركنا الأرض ؟!...

السجين الثانى : تركناها منذ .. انتظر لحظة (**ينظر فى الأجهزة ويحسب**) منذ .. منذ ما يقرب من ثلاثة أيام .. بحساب كوكبنا !...

السجين الأول : ثلاثة أيام ؟!...

السجين الثانى : تقريبا .. لأننا قطعنا حتى الآن ما يقرب من .. خمسة ملايين ميل !...

السجين الأول : هذا كلام لا يدخل عقلى !.. ألا يوجد هنا نافذة أرى منها ما يحدث فى الخارج ؟...

السجين الثانى : لابد أن هنا نافذة بلورية صغيرة .. نعم .. ها هى ذى أمامك فى الجانب الآخر ، مغطاة بستار معدنى ..

السجين الأول : « **يتجه إلى النافذة ويزيح ستارها وينظر** » كلام فارغ !... نحن لا نسير على الإطلاق .. نحن فى مكاننا واقفون .. كما توقعت تماما .. أين هى تلك السرعة التى تقول عنها ؟!...

السجين الثانى : لا تشعر بها .. هل تشعر بسرعة الأرض وهى تنطلق وتدور ؟!....

السجين الأول : طبعا لا ... ولكن ...

السجين الثانى : ولكن ماذا ؟.. لا تعتمد على شعورك .. نحن نسير وكفى !...

السجين الأول : « **ناظرا من النافذة** » نعم ... صدقت ... نحن لسنا على الأرض .. انظر !... يا للعجب !... يا للغرابة !... انظر ، ها هو ذا نجم يبدو كأنه الأرض !... إنه لامع وكبير ... إنه أكبر النجوم والكواكب التى حولنا .. يكاد يماثل القمر فى ليالى تمامه !.... إنه ليس القمر قطعا ... إنه أرضنا .. إنه أرضنا ... انظر ... ها هو ذا المحيط الهادى .. ها هى ذى آسيا ... عجبا !... إنى لا أكاد أصدق !... يخيل إلى أنى أرى كرة أرضية من الورق المقوى .. مما يوضع فى المتاحف الجغرافية ... كرة مضيئة ثابتة لا تتحرك .. كما أننا نحن أيضا لا نتحرك .. تعال وانظر ...

السجين الثانى : « **يذهب إليه وينظر معه** » نعم ... تلك هى أرضنا ..

السجين الأول : « **يترك النافذة شبه حالم** » أرضنا ؟!...

السجين الثانى : نعم .. هى بعينها !...

السجين الأول : « **كالهامس** » هذا كل شىء ؟!...

السجين الثانى : « **تاركا النافذة** » ماذا تعنى ؟!...

السجين الأول : كل ما نحن فيه الآن !.. من البساطة والرتابة بحيث لا يثير فى النفس شيئا ... حجرة مغلقة ثابتة ساكنة لا تتحرك ولا تسير .. ونافذة صغيرة تطل على سماء سوداء ذات نجوم لامعة .. وكرة أرضية كتلك التى فى قاعات الجغرافيا .. ولا شىء غير ذلك !!...

السجين الثانى : وماذا كنت تتوقع ؟... أن ترى مناظر متحركة كأنك تسير فى قطار ؟...

السجين الأول : إنى أتكلم عن إحساسى .. إنى فى مجرد حجرة مغلقة ثابتة كأى حجرة أخرى .. لا أكثر ولا أقل ...

السجين الثانى : لو لم تكيف هذه الحجرة وتجهز بما يجعلها صالحة لبقائنا وتحركنا كما كنا نفعل تماما على الأرض ، لشعرنا فى الحال بالفارق الهائل !.. ولو لم يخدرونا قبيل الانطلاق ، لكنا قد أصبنا بهزات عصبية أو نفسية لا يمكن أن تنسى !... إنه لمن الخير لنا أن يبدو كل شىء على هذا النحو ..

السجين الأول : ألا نشعر بفرق ؟... حقا ... إنه مجرد سجن جديد !.. نفس الجدران حولنا .. ونفس المكان المغلق .. ونفس النافذة الصغيرة !...

السجين الثانى : ولكننا هنا على الأقل لاننتظر تهديدا بتنفيذ حكم الإعدام !...

السجين الأول : تقصد أننا هنا لسنا مهددين بالموت !...

السجين الثانى : أقصد أن الموت هنا ليس معروفا نوعه ولا موعده ، أما حكم الإعدام فكان نوعه معروفا وموعده محددا !...

السجين الأول : ألم يقولوا لك إن احتمال نجاتك من الموت فى هذه الرحلة هو واحد فى المائة ؟!..

السجين الثانى : قالوا ذلك .. وهذا الأمل يكفينى .. ومع ذلك فنحن هنا لن نخطو نحو الموت ، كما كنا سنخطو نحو آلة الإعدام ! .. إن الموت سيأتى هنا فجأة ، وبأسرع من تصورنا !.. إنه ليس كموت الأرض تسمع دبيبه !.. إننا نكون قد متنا قبل أن نشعر به ... إنه هنا أسرع من سرعة الفكر نفسه !..

السجين الأول : أنا لم أرتعد فى الأرض أمام الموت وأنا أخطو نحوه ، حتى أرتعد منه الآن !.. إنه الآن أبعد الأشياء عن تفكيرى ، لأنه لم يعد معلقا بإرادة الناس ينظرون فى ساعاتهم !...

السجين الثانى : حقا هذا أبشع شىء فى حكم الإعدام !... أن تعلم أن هناك أناسا يعدون العدة لموتك ، ويحسبون أنهم يخفون ذلك عنك ، فى حين أنك تقرأ كل شىء واضحا فى عيونهم !..

السجين الأول : حكم عليك بجريمة قتل ؟...

السجين الثانى : جرائم !...

السجين الأول : « **يحدق فيه** » ماذا تقول ؟!... إنه لا يبدو عليك مطلقا ...

السجين الثانى : وأنت أيضا لا يبدو عليك .. ماذا فعلت ؟...

السجين الأول : قتلت بسبب امرأة !...

السجين الثانى : وأنا كذلك ..

السجين الأول : بسبب امرأة ؟!!...

السجين الثانى : نساء ...

السجين الأول : كنت تحبهن ؟!...

السجين الثانى : أبغضهن !...

السجين الأول : تبغضهن ؟!... هذا موضوع يهمنى .. إن بغض امرأة واحدة قد كفانى !... وأنت تحدثنى عن نساء !!... أخبرنى ...

السجين الثانى : لدينا الوقت الطويل نتحدث فيه عن كل هذا .. أما الآن فإلى العمل !.. هلم إلى العمل !..

السجين الأول : أى عمل ؟...

السجين الثانى : هذه الأجهزة ... ألا تريد أن تعرف على الأقل إلى أين نحن سائران ؟!...

السجين الأول : بالطبع .. يجب أن نعرف ذلك !...

(وفجاة يسمع صوت كصوت التلفزيون عندما يبدأ .. ثم ينطلق صوت ينادى ...)

الصوت : هنا الأرض !... هنا الأرض !...

السجين الأول : ما هذا ؟.!...

السجين الثانى : التلفزيون !... إنهم يروننا الساعة من الأرض ويسمعوننا ... ونحن أيضا ... انظر .. على هذه اللوحة .. إنهم جماعة من العلماء ...

السجين الأول : « ناظرا إلى لوحة الجهاز التلفزيونى » الصور غير واضحة تماما ...

الصوت : أتسمعان الصوت ؟...

السجين الثانى : نعم ، ونراكم أيضا .. ولكن بغير وضوح ..

الصوت : هذا صحيح.. هذا راجع للمسافة.. عدا ذلك هل كل شىء على ما يرام ؟.. الأجهزة فيما نرى تعمل كلها ..

السجين الثانى : نعم ...

الصوت : التسجيل والتصوير الآلى جيدان!...

السجين الثانى : حصلتم على نتائج مهمة ؟..

الصوت : جدا .. وأنتما ؟... الصحة ؟...

السجين الأول : صحتنا عادية .. الدورة الدموية ... الضغط .... النبض .. كل شىء طبيعى حتى الآن ...

الصوت : حاولنا من قبل الاتصال بكما مرارا .. ولكنكما كنتما لا تزالان تحت التخدير !...

السجين الثانى : نريد أن نعرف اتجاهنا بالضبط .. إلى أين نحن سائران ؟...

الصوت : لا ندرى بعد .. أنتما منطلقان بسرعة مذهلة .. تزداد باستمرار .. لا نعرف لماذا ؟... هل لديكما معلومات ؟ ...

السجين الثانى : لا ! ..

الصوت : لم نتمكن بعد من تحديد الكوكب الذى يحتمل أن تتجها إليه ..

السجين الأول : هل تستطيعون أنتم أن تخبرونا فيما بعد ؟...

الصوت : مع الأسف !.. الاتصال بيننا وبينكما سينقطع بعد تجاوزكما خمسة ملايين ميل .. بعد هذه المسافة لا تعمل الأجهزة التى لدينا ..

السجين الثانى : بعد خمسة ملايين ميل ؟!... ولكننا الآن قطعنا هذه المسافة ..

الصوت : بحسابنا نحن هنا يتم هذا بعد ثلاث دقائق ...

السجين الأول : بعد ثلاث دقائق !!... ينقطع كل اتصال بيننا وبين الأرض ؟!...

الصوت : نحن آسفون لذلك .. حدث خطأ فى تقدير مدة التخدير .. كان الواجب أن تتنبها فى اليوم الثانى على الأكثر .. هل لديكما الآن معلومات خاصة تهمنا ؟ ..

السجين الثانى : لا .. كل شىء سائر بانتظام ...

الصوت : هل تريدان منا أى معلومات ؟..

السجين الثانى : بالطبع .. الأمل مفقود فى شأننا .. أليس كذلك ؟... نحن فى نظركم ضائعان فى الفضاء بلا اتجاه ؟...

الصوت : وداعا ! ...

السجين الأول : « صائحا بلا وعى » زوجتى !...

« تحدث خشخشة فى الجهاز التلفزيونى .. ثم يتوقف نهائيا ... »

السجين الثانى : انقطع الاتصال ..

السجين الأول : إلى الأبد ؟! ...

السجين الثانى : نعم ..

السجين الأول : تقول إننا ضائعان فى الفضاء ؟!...

السجين الثانى : بسرعة مذهلة ...

السجين الأول : « **ناظرا فى وجه زميله** » إنك مضطرب ؟...

السجين الثانى : كرة .. كرة ..

السجين الأول : «**محدقا فيه بقلق** » كرة ؟؟...

السجين الثانى : كرة .. كرة داخلها شخصان .. ضائعة فى الفضاء ... لا هى واقفة فيه .. ولا هى فوق كوكب .. إنها شىء يسبح فى لا شىء ...

السجين الأول : لا تخفنى !! ...

السجين الثانى : « **يتجه إلى النافذة الصغيرة ويتطلع** » إنها تصغر .. وتصغر .. إنها تبتعد عنا .. ونبتعد عنها .. بسرعة مذهلة .. وغدا قد نستيقظ فلا نراها غير نقطة صغيرة .. وقد تختفى هذه النقطة أيضا ..

السجين الأول : أى نقطة ؟!...

السجين الثانى : « **متطلعا من النافذة** » الأرض !...

السجين الأول : « **يتجه وينظر معه** » الأرض ؟؟!...

السجين الثانى : أرضنا العزيزة! .. إنها هناك تبتعد .. هناك تنظر إلينا وهى تبتعد .. وكأنها تقول لنا : « **وداعا** » !...

السجين الأول : « **ناظرا من النافذة** » أمنا .. أمنا العزيزة ! ..
السجين الثانى : نعم أمنا ..
السجين الأول : تشعر بذلك الآن ؟ ...
السجين الثانى : « **وهو يترك النافذة** » نعم ! ...
السجين الأول : نعم .. كانت أمنا .. نحس الآن اليتم .. نوعا من اليتم لم يعرفه بشر !...
السجين الثانى : لو عرفنا ذلك .. ونحن تحت سمائها ... ما ارتكبنا فيها شرا قط ...
السجين الأول : أنت أيضا تحس ذلك ؟ ...:
السجين الثانى : نعم ...
السجين الأول : نعم ، حتى المشنقة لم تستطع أن تغير من عواطفى ... ليس الموت هو الذى يستطيع أن يغير ويبدل فيما نحب ونكره ... بل هو شىء أقوى منه ... أقوى ... أدركت ذلك الساعة ...
السجين الثانى : أفهم ما تعنى ...
السجين الأول : نعم .. شىء ما حدث لى الآن ...
السجين الثانى : قبل أن يتوقف الجهاز سمعتك تصيح قائلا : « زوجتى » !...
السجين الأول : لست أدرى لماذا قلت ذلك ؟...
السجين الثانى : كنت تحبها ؟!...
السجين الأول : وكنت أمقتها أيضا .. لكن ليس لهذه الأسباب ذكرتها فى اللحظة الأخيرة .. لا للحب ولا للكره ... لأمر لا أتبينه بعد فى نفسى ...

السجين الثانى : نعم ، أنا أيضا لا أستطيع أن أتبين ما يجرى الآن في نفسى ! ..

السجين الأول : ماذا تحس الآن بالضبط ؟!... هذا يهمنى ... يهمنى الآن أن أعرف مشاعرك تماما ... اجلس أخبرنى !... ما حدث لك وما يحدث الساعة .. تقول إنك ارتكبت جريمة بسبب النساء ؟..

السجين الثانى : جرائم ... أربع جرائم !...

السجين الأول : قتل ؟ .. أربع جرائم قتل ؟؟...

السجين الثانى : نعم ... وفى الخامسة ضبطت ...

السجين الأول : من أجل النساء ؟...

السجين الثانى : من أجل المال .. تلك كانت أسرع وسيلة فى نظرى .. فى نظرى وقتئذ ، للحصول على المال اللازم لى ... أن أتزوج امرأة غنية ثم أرثها ...

السجين الأول : وتزوجت من أربع نساء ؟؟...

السجين الثانى : فى مدى أربع سنوات ...

السجين الأول : وورثتهن ؟!...

السجين الثانى : جميعا !...

السجين الأول : والخامسة لم تمت ؟...

السجين الثانى : أفلتت بأعجوبة ... واكتشف كل شىء ..

السجين الأول : مهندس مثلك يفعل هذا ؟؟!...

السجين الثانى : كنت فى حاجة إلى المال .. لمشروع هندسى مفيد .. ولم أجد أحدا يصغى إلى أو يثق بى ..

إلا امرأة مسنة ثرية ، أظهرت لى الاهتمام ، وبعد أن أغرتنى بالزواج منها تبين لى أنها مهتمة بالرجل وشبابه لا بالمهندس ومشروعه .. وظهر لى بخلها وقبح خلقها وأنانيتها ، ففكرت فى التخلص منها ، ونجحت وورثت .. وشجعنى ذلك على معاودة الكرة .. فصرت أبحث عن المسنات الثريات ..

السجين الأول : وتقتلهن !...

السجين الثانى : تستنكر ذلك أنت ؟!...

السجين الأول : لم أقصد ...

السجين الثانى : قلتها بلهجة استنكار .. كأنك لا تعرف ما هو القتل !...

السجين الأول : صدقت ... إننى أيضا قاتل ...

السجين الثانى : ثق أنى أنا لم أرد ارتكاب كل تلك الجرائم .. ولكنها الرغبة فى إنجاز مشروعى .. هذا المشروع الذى لو تحقق لعاد بالخير على عدد كبير من الناس ..

السجين الأول : دافعك إنسانى محض !....

السجين الثانى : بالضبط !...

السجين الأول : مثلى ... أنا أيضا قتلت بدافع إنسانى محض!.. ولكن كل ذلك لا يمنع من أننا من القتلة والسفاكين ..

السجين الثانى : فى نظر القانون !... القانون الأرضى .. ولم يعد هناك أرض .. انظر من هذه النافذة البلورية !... لن تجد الأرض !! ...

السجين الأول : ما دامت الأرض لا توجد الآن ، فالجريمة إذن لا توجد ... نحن إذن لم نعد من القتلة !...

السجين الثانى : نعم .. لم نعد من القتلة ولا السفاكين ...

السجين الأول : من نحن إذن .. الآن ؟ ...

السجين الثانى : لا أدرى ... لا أدرى بعد .. لا تلق على مثل هذه الأسئلة .. قم بنا نصنع شيئا .. شيئا آخر .. ألا تشعر بجوع ؟...

السجين الأول : جوع ؟! ... حتى الجوع فقد اسمه !... لم يعد هو الجوع .. لأنه لا يوجد طعام .. قل الفراغ .. فراغ المعدة .. والشعور به له علاجه .. تناول الأقراص المعهودة !... أين هى ؟! ... قالوا لنا عن موضعها .. انتظر لحظة حتى أبحث عنها ....

« ينهض ويتجه إلى خزانة معدنية فى جدار الصاروخ ... »

السجين الثانى : نعم .. هى عندك هناك ... أحضر لى قرصا ... لا لأنى أشعر بجوع أو فراغ ... بل لأصنع شيئا.. إنى فى حاجة إلى أن أصنع شيئا ..

السجين الأول : **« وهو يخرج قارورة من الخزانة »** نعم نصنع شيئا حتى لا نفكر ...

السجين الثانى : **« بقلق »** حتى لا تفكر ... فى ماذا ؟...

السجين الأول : فى هذه الأشياء ...

السجين الثانى : أى أشياء ؟! ...

السجين الأول : لا تسألني! ... لا تسألني أنا .. أنت تعرف جيدا ما أعني .. ولكنك تريد أن تدفعني إلى الكلام ... مثل ذلك الخائف من الظلام ويريد أن يدفع صاحبه إليه أولا ليرود له الطريق .. لا يا سيدى .. لن أتكلم أنا .. لأنى أعرف أنك ستسكتنى فى الحال إذا قطعت شوطا يخيفك أو يلقى فى نفسك الروع والاضطراب ...

السجين الثانى : ما الذى يخيفنى ؟

السجين الأول : أنت تعرف جيدا ...

السجين الثانى : لا ...

السجين الأول : أنت خائف الآن ...

السجين الثانى : وأنت ؟!....

السجين الأول : «**يقترب منه ويناوله القرص**» اسمع يا صديقى!.. ما اسمك أولا ؟... من العجيب أن أحدنا لم يذكر للآخر اسمه حتى الساعة !..

السجين الثانى : اسمى ؟... اسمك ؟.. ما فائدة الأسماء هنا ؟! .. لا يوجد غيرنا .. الاسم والسن والعنوان ؟.. ما نفع كل ذلك الآن ؟!... إننا لسنا مسافرين فى طائرة تحتاج فيها إلى جواز سفر ! ... نحن هنا مسافران بلا جواز سفر وبلا وجهة .. هنا ؟!... حتى كلمة « هنا » صارت بلا معنى!... ما معنى « هنا » ؟... هنا أين ؟... أوَنعرف أين نحن الآن ؟...

السجين الأول : عندما تقول « هنا » تقصد هذا المكان .. هذا المكان الضيق فى الصاروخ ... هذا السجن .. السجن الدائر الضائع فليكن .. ولكنه مكان نحن فيه على أى حال !.. ونحن لم نزل من البشر !..

السجين الثانى : لم نزل من البشر ؟!... أتظن ذلك؟...

السجين الأول : ماذا تعنى ؟ .. هل فقدنا صفتنا البشرية ؟! ...

السجين الثانى : من يدريك ؟..

السجين الأول : ومن نحن الآن إذن ؟!..

السجين الثانى : هذا هو السؤال ..

السجين الأول : الذى يخيفك ؟...

السجين الثانى : ويخيفك أنت أيضا ؟...

السجين الأول : لا .. لم أخف بعد .. أنت الذى ستصيبنى بعدوى الخوف .. إن وضع السؤال فى هذه الظروف المحيطة بنا كاف وحده لإلقاء الروع فى النفس ، ولكنه مجرد سؤال !... إن مجرد سؤالك نفسك أسئلة مخيفة يحدث دائما خوفا ... عندما تكون فى قمة جبل وتنظر إلى أسفل متسائلا : ماذا يحدث لو أن قدمى زلت ؟..
أو كنت فى سفينة تتأمل الأمواج فى عرض البحر وقلت : ماذا يجرى لو سقطت من ظهر السفينة وهى سائرة ؟.. هذا التصور وحده مخيف . ويجب أن نواجهه فى الحال بتحليل الموقف .. لنفرض أنى .. سألتك الساعة هذا السؤال المخيف أيضا :
ماذا يحدث لى لو أنى ألقيت بنفسى من باب هذا

الصاروخ إلى الفضاء ؟.. أجبنى!... مـاذا يحدث لى ؟...

السجين الثانى : لا يحدث لك شىء ... ستلتصق بالصاروخ...

السجين الأول : لن أسقط فى الفضاء ؟! ...

السجين الثانى : لا يوجد سقوط حيث لا توجد جاذبية !...

السجين الأول : لن أسقط إذن ؟!...

السجين الثانى : ولن ترتفـع .. لا نستطيع هنـا أن نسـقط ولا أن نرتفـع.. وهـذا مـا قلـت لـك.. هـل فهمـت؟.. لا سقـــوط ولا ارتفـــاع!.. لا جريمـــة ولا قانون..ولا شر ولا خير... ولا رذيلة ولا فضيلـة... ولا كره ولا حب... هل تفهم معنى هذا ؟؟...

السجين الأول : لا تحـاول أن تدخـل فـى نفسـى الشـكوك .. وتجعلنى أعتقد أنى لم أعد إنسانا !...

السجين الثانى : إنك لم تعد إنسانا ... الإنسان فينا قد تركناه فـى الأرض .. لأن الإنسان هو ابن الأرض ... وأيـن هى الأرض الآن؟...

السجين الأول : ومن نكون إذن ؟...

السجين الثانى : قلت لك .. هذا هو السؤال !...

السجين الأول : إنه لأمر مخيف حقـا أن نجهـل مـن نكـون .. وأن نـدرك فجـأة أننـا لم نعـد ننتمـى إلى كوكـب الأرض ، ولا إلى أى كوكب آخر .. مـن حيـث الجاذبية الفلكية وربما .. نحن لم نعـد ننتمـى حقـا إلى كوكب ما .. حتى الساعة ، هذا صحيـح .. ما نحن إلا فقاعـة تسبح فى فضـاء .. تسبـح إلى

أين ؟.. لا يهم .. فلتكن النهاية الموت .. على أى صورة .. إن الموت لم يخفنا ... لقد كنت أعرف أنى أسير إلى المشنقة بعد ساعات فلم تهتز فى جسدى شعرة .. ليس الموت هو الذى يخيف .. ليتهم أعدمونا .. إننا كنا سنعدم ولا يخطر ببالنا أن نسائل أنفسنا : « من نحن ؟.. » لأن الجواب يومئذ واضح .. نحن من أبناء الأرض نموت فى بيتنا وتحت سمائنا ... وهذا شىء طبيعى .. ولكن الذى نحن فيه الآن وضع لاعهد لآدمى به .. إنه وضع يحتم علينا أن نتساءل : « هل نحن من أبناء الأرض بعد ؟!... » « **يفكر لحظة ثم يصيح** » بالطبع نحن من أبناء الأرض نحن من بنى الإنسان .. ما الذى فينا قد تغير ؟.. ولماذا نلقى على أنفسنا هذه الأسئلة ؟.. ما الذى جعلنا الآن نلقى على أنفسنا مثل هذه الأسئلة ؟!..

السجين الثانى : أنت الذى بدأ يلقيها ...

السجين الأول : لأنك حاولت أن تلقى فى روعى شكوكا ... لا معنى لها ...

السجين الثانى : لا معنى لها ؟!... لو أنى قتلتك الساعة ؟!...

السجين الأول : لن تكون هناك جريمة ...

السجين الثانى : أرأيت ؟...

السجين الأول : بالطبع لن يكون فى ذلك جريمة ... لأنه لا يوجد هنا قانون ... كل هذا أوافقك عليه ... ولكنك عندما تقتلنى وترانى ممددا أمامك بلا حراك ، هل ترى أنك أتيت فعلا جميلا أو قبيحا ؟.. هذا هو الذى يحدد موقفنا الإنسانى ... لا وصف الجريمة ولا وجود القانون ... شعورك ... ماذا سيكون شعورك بعد أن تقتلنى ؟....

السجين الثانى : وماذا كان شعورك أنت بعد أن قتلت ؟؟.. وماذا كان شعورى أنا بعد أن ارتكبت جرائمى ؟!.. إننا نجد دائما التبرير الجميل المعقول لجرائمنا .. أخبرنى عن شخص ارتكب جريمة دون سبب يرضى شعوره ؟!...

السجين الأول : قلها صراحة وباختصار : ما الذى تريد أن تصل إليه ؟... إننا انسلخنا من صفتنا الأرضية ؟.. إننا نسير بلا جواز سفر .. بلا جنسية .. بلا هدف .. نعم .. بلا هدف هذا صحيح .. لأننا منذ سرنا نحو المشنقة لم يعد لنا من هدف سوى الموت ... والآن كذلك .. ولكن الجنسية ... الجنسية الأرضية ... الآدمية ... كيف تريد أن تقنعنى أنها ألغيت ؟.. وما الذى ألغاها ؟.. بعدنا عن الأرض ؟... إنها ليست فى الأرض ... إنها هنا .. معنا فى هذا الصاروخ .. لأنها هنا بين جدران الصدر ...

السجين الثانى : الجنسية الأرضية !!....

السجين الأول : نعم ... الجنسية الأرضية ... ماذا فى ذلك؟...

السجين الثانى : إنك تقرر حقيقة كبيرة دون أن تفطن ... إننا الآن لم نعد نرى وجودا لغير الجنسية الأرضية!... لقد ألغيت بالنسبة إلينا كل الجنسيات الدولية على الأرض .. أليس هذا غريبا ؟!...

السجين الأول : وأى غرابة فى هذا ؟!... ألم تقل الساعة إن الأرض أمنا .. تلك الأم قد أعطتنا صفات ... صفات لنا جميعا نحن أبناؤها .. ونحن نحتفظ بهذه الصفات .. هنا داخل نفوسنا .. نحتفظ بها حية أينما ذهبنا ..

السجين الثانى : أينما ذهبنا على الأرض ..

السجين الأول : وخارج الأرض أيضا ..

السجين الثانى : هذا ما لم يعرفه أحد بعد ..

السجين الأول : هذا ما أعرفه أنا .. وسأثبته لك ..

السجين الثانى : إلى أن تستطيع إثبات شىء ، دعنى أذهب لألقى نظرة على هذه الأجهزة ...

« يتجه إلى الأجهزة وينظر فيها »

السجين الأول : **« بعد لحظة تفكير وإطراق »** يخيل إلى أن طول اتصالك بالآلات والأجهزة بحكم عملك ، كاد يجعل منك آلة أو جهازا ... حتى يوم كنت على الأرض .. تلك ولا شك حالة خاصة بك أنت وحدك .. ليس أدل على ذلك من

ارتكابك لجرائم قتل بالجملة .. كأنك مخرطة كهربائية !..

السجين الثانى : « **يلتفت إليه** » مخرطة كهربائية ؟!...

السجين الأول : مثلا !....

السجين الثانى : وأنت ؟!.. ماذا كنت ؟!...

السجين الأول : أنا كنت ضحية خديعة .. حسبت أنى أنقذ شخصا يائسا . لم أرتكب القتل لأحصل على المال كأى مجرم قذر ...

السجين الثانى : مجرم قذر ؟!... أنا ؟!...

السجين الأول : هل هناك وصف آخر لذلك الذى يقتل زوجات عديدات ليرث منهن .. ذلك الذى كان فى نيته الاستمرار فى الزواج والقتل والميراث ، لولا إفلات فريسته الأخيرة ؟!..

السجين الثانى : تصفنى أنت بأنى مجرم قذر ؟!...

السجين الأول : لست أنا الذى يصف .. النائب العام الذى وصف بلا شك جرائمك .. ترى ماذا كان قوله؟.. والصحف ماذا كان وصفها ؟.. والمجتمع والناس ؟.. أراهن أنهم جميعا كانوا يطلقون وصفا واحدا : سفاح النساء !..

السجين الثانى : سفاح النساء ... نعم .. وأنت ماذا يعنيك الآن من هذا ؟!...

السجين الأول : الآن وفى أى مكان .. ما من قوة تستطيع أن تلغى من نفسى حق الحكم على الأشخاص والأشياء ... إنى لم أزل أحتفظ فى نفسى بشعور الاحترام والاحتقار !...

السجين الثانى : احتقارى ؟!...

السجين الأول : هذا من حقى .. ما دمت أستطيع أن أميز بين ما هو محترم وما هو محتقر .. إن بعدى عن الأرض وإلغاء الجاذبية لا يلغيان إدراكى أن هذا الفعل لا يصدر إلا عن شخص وغد دنىء ، وأن ذاك الفعل يصدر عن رجل حى الضمير .. ومهما تحاول أنت أن تلقى فى روعى أننا فقدنا وضعنا الإنسانى ، وصرنا أجهزة وآلات ، فإنى لن أصدق .. لن أصدق إنك حقا قد ارتفعت عن القانون .. عن كل قانون نعرفه أو لا نعرفه .. و لم تعد هنا قوة توجه إليك اتهاما أخلاقيا ... ولكنى أنا أمامك هنا ... بعد أن ذهبت أرضنا بأخلاقها وقوانينها وعوائدها ... أنا هنا لا أستطيع أن أنظر إليك إلا أن أهمس لنفسى: هذا شخص قد ارتكب أشياء لا يرتكبها شخص ذو حياء أو ضمير !...

السجين الثانى : تحتقرنى كل هذا الاحتقار ؟!...

السجين الأول : نعم !...

السجين الثانى : الآن ... هنا ؟!...

السجين الأول : نعم الآن وهنا بالذات ... يجدر بنا أن نكشف الستار عن كل خوالجنا ... ما الحكمة الآن وهنا فى أن يداجى أحدنا الآخر؟...

السجين الثانى : لا أطلب منك مداجاة ولكن ...

السجين الأول : نحن الآن هنا في وضع يحتم علينا أن نعرض نفسينا للضوء . إن نفسي ونفسك هما كل ما جئنا به من كوكبنا ..؟ هما الصندوق المغلق على كل عناصرنا الإنسانية ... فإذا أردنا أن نعرف ما احتفظنا به في هذا الصندوق ، فعلينا أن نستخرج منه كل شيء بكل وضوح ، ولا نترك شيئا في الظلام ...

السجين الثاني : ما في نفسك لي هو الاحتقار !...

السجين الأول : وما الذي يهمك أنت من هذا الآن ؟!...

السجين الثاني : الآن لم يبق سوانا .. أنا وأنت ... لا أملك هنا غيرك ولا تملك غيري !... أنت عندي الصندوق المحتوي على أثمن كنز ... لأنك الآن هنا كل شيء بالنسبة إليّ أنا ... لأنك جزء من الأرض ... من أمنا ... أمنا التي ماتت إلى الأبد .. في نظرنا ...

السجين الأول : وبعد ؟... ماذا تريد أن تقول ؟؟...

السجين الثاني : لا شيء ... هل تظن أني أستطيع احتمال الحياة هنا في ظل احتقارك ؟!...

السجين الأول : أنت إذن تحس الآن مرارة الاحتقار ؟!...

السجين الثاني : بالطبع !...

السجين الأول : هذه علامة سارة !..

السجين الثانى : لا داعى إلى السخرية !... قد تكون الحقائق والظروف مخفية عنك فلم يظهر لك منها إلا ما يستوجب الاحتقار ... وقد أكون مستحقا بالفعل لهذا ... ولكن ما هو الموجب أن تقذف فى وجهى الآن بما يجرحنى ؟... ماذا صنعت لك ؟!...

السجين الأول : لم أرد جرحك ... ولكنى أردت خدش نفسك لأتبين ما خلفها ؟!... ألم يحدث لك أن خدشت شجرة ، لتعرف هل جفت أو ما زالت حية يقطر منها عصير !...

السجين الثانى : أصغ إلىّ ... دعنى أقص عليك ما حدث بالضبط ... وبعدئذ لك أن تحكم وتصر على أنى وغد دنىء !... إنى لم أسألك حتى الساعة عما فعلت أنت ... لأنى لم أرد محاكمتك ... لقد اندفعت بنية سليمة ... أعترف لك ... دون أن يخطر لى أنك ستحاكمنى !...

السجين الأول : نحن لسنا هنا ليحاكم أحدنا الآخر !... لقد تمت المحاكمات على الأرض وصدرت الأحكام بإعدامنا وانتهى الأمر ..

السجين الثانى : لماذا إذن تصدر على حكمك هنا باحتقارى ؟!... حكمك هذا عقوبة جديدة عن أشياء سبق أن حوكمت عليها ، وعوقبت وانتهى الأمر !...

السجين الأول : هدىء من روعك يا صديقى !... افهمنى ...ألا تريد أن تفهم غرضى ؟!...

السجين الثانى : أريد أن تفهمنى أنت .. يجب أن يفهم أحدنا الآخر هنا .. وإلا ضاع أحدنا من الآخر !... وسط هذا الضياع الشامل الذى يجرفنا فى هذا الكون .. إنك لا تدرك ما نحن فيه من ضياع !... انظر من هذه النافذة إلى الفراغ الهائل الذى يبتلعنا ابتلاعا .. فراغ ... ضياع ... أتفهم معنى كلمة « الضياع » ؟!... أتتصور معنى الضياع فى الفراغ ... إن هذا مخيف .. تعال وانظر ... انظر ...

السجين الأول : « **ينظر من النافذة مع زميله** » نعم ... هذا مخيف ... لا شىء تحت أقدامنا ... ولا شىء فوق رءوسنا ... لأنه لا يوجد فوق ولا يوجد تحت ... هذا مروع !...

السجين الثانى : وسنظل هكذا أنا وأنت ... إلى أن نتلاشى بطريقة ما ... ألا ترى بعد ذلك أنه يجب أن يقترب أحدنا من الآخر ... لا أن نبتعد ... نقترب ... لأن كل شىء يبتعد ... يبتعد عنا بسرعة مخيفة ...

« **يسمع صوت صفير من أحد الأجهزة ...** »

السجين الأول : « ما هذا » ؟! ...

السجين الثانى : «الرادار» ...

السجين الأول : ماذا حدث ؟...

السجين الثانى : **(ينظر بسرعة فى الجهاز)** جسم ...

السجين الأول : جسم ؟!...

السجين الثانى : **« متابعا النظر فى الرادار »** شهاب ... نيزك ... كوكب ...

السجين الأول : سنصطدم به ؟!...

السجين الثانى : من يدرى ؟!...

السجين الأول : ساعتنا دنت ؟...

السجين الثانى : لا أدرى ...

السجين الأول : كم تقدر من الوقت ليقع الاصطدام ؟...

السجين الثانى : **(وهو يراقب الجهاز)** دقيقة !..

السجين الأول : بعد دقيقة ؟... إذن فليودع أحدنا الآخر ...

السجين الثانى : إنك تحتقرنى ...

السجين الأول : كان مجرد اختبار ... ليتنى ما فعلت ...

السجين الثانى : الجسم يقترب ... جدا ..

السجين الأول : سامحنى ...

السجين الثانى : إنه الآن أمامنا .. اجلس فأغمض عينيك ...

السجين الأول : هل صفحت ؟...

السجين الثانى : **« ينظر فى الجهاز ويصيح »** أغمض عينيك أغمض عينيك ...

« تحدث عندئذ رجة عنيفة ويظلم المكان ويسقط الرجلان على أرض الصاروخ ... وتمضى لحظة ... ثم يعود النور ... ويبقى الرجلان قليلا بلا حراك ... ثم يتحرك السجين الأول ... ويحاول النهوض » ...

السجين الأول : مـاذا حـدث ؟... هـل متنـا ؟... أعضـائى سـليمة ... وأنـت ... أنـت أيهـا الصديـق (**ينهضه**) ..

السجين الثانى : بخير ... أنا كذلك ... قد نجونا ...

السجين الأول : لم يقع الصدام !...

السجين الثانى : من حسن الحظ ... انتظر حتى أرى ... « **يتجه إلى الجهاز وينظر فيه** » لم أعد أرى شيئا ... قـد انحـرف عنـا ... أو انحرفنـا عنـه فـى اللحظـة الأخيرة ...

السجين الأول : لم تحن ساعتنا إذن !...

السجين الثانى : عمرنا طويل ، فيما يبدو ...

السجين الأول : حقا !...

السجين الثانى : عمـر الشـقى « بقـى » ... كمـا يقولـون ... مادمت أنا معك فلا تخش شيئا ...

السجين الأول : أنت لست وحدك الشقى ...

السجين الثانى : أنا وحدى الشقى الوغد الدنىء فـاقد الضمـير .. وهذا لا يموت بسهولة ...

السجين الأول : لا تريـد أن تنسـى ؟.. ثـق أنـى لم أقصـد إهانتك ؟!...

السجين الثانى : لست ألومك .. أنت قلت الحقيقة ..

السجين الأول : إنـى لم أقصـد أن أقـول الحقيقـة ولا أن أجـرح شعورك.. لم يكن هذا غرضى مطلقا... مطلقا .. أرجوك أن تفهمنى .. افهمنى جيدا ...

السجين الثانى : إنى أفهم جيدا ...

السجين الأول : إنك فهمت الموقف فهما خاطئا !...

السجين الثانى : لا بأس !... فلنلتفت الآن إلى موقفنا من الكون ... ترى بأى سرعة نسير الآن ... انتظر لحظة !... « **ينظر فى بعض الأجهزة مليا** » ..

السجين الأول : إنه لمن الطريف حقا.. بل من المشجع أن نتحادث هكذا ونتعاتب ونحن ضائعان فى الكون !..

السجين الثانى : « **أمام الجهاز فاغرافاه** » هذا غير مصدق !...

السجين الأول : ماذا ؟... حديثنا هذا ؟!... حقا ما زلنا وسط هذا الفراغ الكونى نتأثر بالكلمة المهينة ونخشى الحقيقة الشائنة ونحاول أن لا يصغر أحدنا فى عين أخيه !... هذا حقا غير مصدق ...

السجين الثانى : « **ناظرا فى الأجهزة** » يا للهول!... هذا غير معقول ...

السجين الأول : « **فى قلق** » ما هو ؟!...

السجين الثانى : المؤشر ... السرعة التى نسير بها .. المؤشر يجرى جريا مجنونا ... إنه بلغ حده الأقصى ويرتطم بإطاره ...

السجين الأول : وما معنى هذا !؟...

السجين الثانى : انظر ... إنه يرتطم ارتطاما شديدا بحاجزه !...

السجين الأول : ماذا يعنى هذا ؟!...

السجين الثانى : إنه يبحث عن أرقام أعلى لتسجيل السرعة !... سرعتنا أكبر من أن تسجلها هذه الأجهزة !...

من يدرى .. ربما كنا نسير بسرعة تقرب من سرعة الضوء ...

السجين الأول : سرعة الضوء ؟!...

السجين الثانى : سرعة تخرج على كل حال عن مجال أجهزتنا ...

السجين الأول : وما معنى كل هذا ؟!...

السجين الثانى : لا يوجد غير معنى واحد : جسم كبير جدا يجذبنا .. هو كوكب بلا شك ... نعم لا يمكن أن يجذبنا بهذه السرعة غير كوكب دخلنا فى نطاق جاذبيته ...

السجين الأول : كوكب ؟!...

السجين الثانى : لم يظهر بعد أثره هنا فى الأجهزة ... أنه لم يزل بعيدا ولكنه مع ذلك يجذبنا .. دون أن نراه ...

السجين الأول : يجذبنا ؟!...

السجين الثانى : بعد قليل سنعرف عنه شيئا ... انتظر !...

السجين الأول : سنكون فى قبضته ..

السجين الثانى : نعم ..

السجين الأول : سنكون ملك كوكب لا نعرف بعد ما هو ؟!...

السجين الثانى : سنعرف ... انتظر قليلا ...

السجين الأول : هل سنسقط عليه ونتحطم؟!...

السجين الثانى : هنا جهاز يحول اتجاه الصاروخ ، ويكفل لنا الهبوط الآمن ... إذا كانت الأمور تجرى فيه كما توقع علماء الأرض .. لكن المشكلة الحقيقية ...

السجين الأول : ماذا ؟؟!...

السجين الثانى : نوع هذا الكوكب ... طبيعته ؟!... وهل هو صالح لمثلنا ؟!...

السجين الأول : وهل هو آهل بالسكان ؟!...

السجين الثانى : ليس هذا ما يشغلنى الساعة ... المهم عندى هو سطحه ... طبيعة سطحه هل تيسر لنا الهبوط ؟!.. عندما قالوا لنا إن الأمل فى النجاة بنسبة واحد فى المائة ، كانوا يقدرون ولا شك أن من بين الأخطار القاتلة ، هذا الخطر الذى نتعرض له الآن عند الهبوط ...

السجين الأول : ما الذى أغرانا بهذه الرحلة المروعة !... كنا سنلقى الموت مرة واحدة أمام المشنقة ، فلم نفعل .. وقبلنا أن نأتى هنا لنلقى الموت فى كل دقيقة بصورة مختلفة ... لماذا فعلنا هذا ؟... ما الذى أغرانا بهذا ؟!...

السجين الثانى : الواحد فى المائة !...

السجين الأول : أنت أيضا ؟!!... نعم ... الواحد فى المائة ؟!...

السجين الثانى : « **صائحا أمام الأجهزة** » صه !... ها هو ذا !..

السجين الأول : ظهر !...

السجين الثانى : اذهب إلى النافذة وانظر .. لابد أنه أمامنا يبرق ..

السجين الأول : « **مسرعا إلى النافذة** » أريد أن أراه .. أين هو ؟... أين أنت يا من ستكون قبرنا ... أو مأوانا ؟!... نعم ها هو ذا ... ها هو ذا ... إنه كبير ... أنه كالقمر ؟... لم لا يكون هو القمر ...

السجين الثانى : مستحيل ... لقد خلفنا القمر الأرضى وراءنا بعشرات الملايين من الأميال ... أهو فى حجم القمر الآن ؟!...

السجين الأول : نعم !... تعال وانظر !...

السجين الثانى : « **يتجه إلى النافذة ويتطلع** » نعم .. وبعد لحظة سيكون فى حجم هائل نستطيع معه أن نعرف عنه الكثير ...

السجين الأول : « **متطلعا من النافذة** » نستطيع أن نعرف أعدو هو أم صديق ؟!...

السجين الثانى : « **وهو ينظر** » ألا تلاحظ شيئا ؟!...

السجين الأول : « **ناظرا** » الضوء المنبعث منه ...

السجين الثانى : نعم ضوؤه غريب .. كأنه شعاع صادر من بطارية كهربائية ...

السجين الأول : نعم ... لكأنه منار يرسل أشعته فوق محيط !... من يدرى ؟... لعله يهدينا إلى طريق الأمان... ربما كان الآن ينادينا .. نعم إنه ينادينا .. بهذه الأشعة الغريبة .. وما دام هو الذى نادانا ، وهو الذى جذبنا .. فلا يمكن أن يكون مريدا بنا شرا .. أيها الكوكب !... أيها الكوكب الجميل.. ها نحن قد لبينا النداء ... ها نحن قادمان ... من عالم آخر .. عالم الإنسان !... أحسن استقبالنا أيها الكوكب الكريم !... لا ترد بنا شرا ... لا ترد بنا شرا ... لا ترد بنا شرا ... « **يقفان جامدين .. بينما تستقبل وجهيهما أشعة غريبة تنفذ من خلال النافذة البلورية ..** »

الفصل الثالث

فى الكوكب المجهول

« السجين الأول قائم بفحص زميله السجين الثاني ، وكلاهما بجسمه آثار السقوط ... »

السجين الأول : **«قلقا لزميله»** الدم ينزف منك بغزارة .. والجرح الذى فى صدرك مميت .. إنك تشعر بضعف طبعا ...

السجين الثانى : لا ... مطلقا ... وأنت !... انظر إلى دمائك التى تسيل من ذراعك !...

السجين الأول : لا تلتفت إلى أنا ... هذا ولا شك خدش بسيط ... إنى لا أشعر بشىء ... دعنى أفحصك أنت أولا ... إنى قلق عليك !...

السجين الثانى : جرحك ليس خدشا بسيطا ... إنه شريان مقطوع !...

السجين الأول : أأنت مجنون !... معذور !... أنت لا تفهم فى الطب !... حالتك أنت خطيرة وتحتاج إلى عناية ونقل دم ... زجاجات الدم المحفوظ فى الصاروخ !... لا تتحرك !... انتظر حتى أعد لك مضجعا ...

السجين الثانى : قلت لك لا أشعر بضعف ... لا توهمنى بلا مبرر.. بل إنى أشعر بنشاط تام .. انظر !... بى حاجة إلى أن أركض وأن أقفز ... هكذا ... هكذا... **« يقفز فى الهواء ... »**

السجين الأول : **« ينظر إليه دهشا »** يا للغرابة !...

السجين الثانى : أرأيت ؟...

السجين الأول : وهذه الدماء التى سالت منك ؟!... إن لونك قد تغير .. لا أثر للاحمرار فى وجهك !...

السجين الثانى : ولونك أنت .. وشريانك المقطوع !..

السجين الأول : « **يتحسس ذراعه** » حقا .. هذا شريان قد قطع فعلا .. يكفى لإفراغ كل دمى .. ما من شك أن دمى قد أفرغ طول هذا الوقت الذى مضى منذ سقوطنا ..

السجين الثانى : قلت لك فلم تصدق !.. إن لونك كلون الشمع ... هل تشعر بتعب ؟...

السجين الأول : على النقيض .. أشعر بنشاطى كاملا ...

السجين الثانى : ولماذا لا تركض أمامى قليلا كما فعلت أنا ، حتى أرى ...

السجين الأول : « **يقفز** » وأقفز أيضا .. هل ترى ذلك ؟.. أليس هذا عجيبا ؟!... هذا غير معقول ... كان يجب أن نكون من الأموات ، بعد أن سقط بنا الصاروخ وتحطم ...

السجين الثانى : تحطم بنا ولم نمت !....

السجين الأول : أصبنا بإصابات قاتلة .. ولكننا فى صحة جيدة !... هذا غير مصدق ... بماذا تفسر هذا ...

السجين الثانى : أنت الذى عليه إيجاد تفسير !...

السجين الأول : كل دمائنا نزفت ... ومع ذلك لم نصب بسوء !!... إذن نحن هنا لسنا فى حاجة إلى دماء فى شراييننا لنعيش !؟!... ما من طبيب يقول ذلك إلا وقد أصيب بالجنون !... ما من شك أن قوانين الطب التى نعرفها غير سارية هنا ...

السجين الثانى : انظر ... انظر ... ألم تلاحظ شيئا ؟!... نحن الآن في العراء بغير أرديتنا الخاصة المكيفة !؟...

السجين الأول : حقا ومع ذلك لا نشعر بضيق !... ونتحرك على نحو طبيعى كما كنا على الأرض ... الجو هنا إذن ملائم تمام الملاءمة ...

السجين الثانى : « **ينظر حوله** » ما هذه الجبال ؟!... طبعا هذا نوع من الجبال بدون شك !...

السجين الأول : « **متأملا حوله** » نعم .. ماذا تكون غير جبال ؟!... لكن ما بالها دقيقة رفيعة كالمسلات أو كأعمدة اللاسلكى ؟!... إنها جرداء ملساء ... كل شىء حولنا أجرد أملس ... لا شجرة هنا ولا مجرى ماء ... ولكن الجو رائق صاف .. وهذا اللون العجيب !... انظر إلى السماء !... لا توجد سحب !... لا توجد سحب!... كل شىء مغلف بهذا اللون العجيب ... البنفسجى !...

السجين الثانى : « **يتأمل** » إنه ليس البنفسج بالضبط ... شىء كهذا ولكنه ليس هو تماما ... لا أذكر أنى رأيت مثل هذا اللون على هذا النحو ... إنه لون يمكن أن تصفه بين البنفسج الصافى والأزرق الهادىء والاخضرار الخفيف ... ربما يشبه لون نوع نادر من الفيروز ...

السجين الأول : أو قل لون الزرقة البنفسجية التى تبرق عند إشعال الغاز ...

السجين الثانى : انتظر !... بل هو لون يقرب من برق بعض الشرارات الكهربائية ...

السجين الأول : « **متأملا** » مهما يكن من أمر فهو لون رائع !... ألا توافقنى !؟...

السجين الثانى : نعم :.. عندما يبقى الجو كله بهذا اللون ... هذا اللون الخراق ... لون لم نر مثله حقا ... إلا فى ريشة المصورين الذين يصورون الأساطير ...

السجين الأول : « **متلفتا باحثا** » يظهر أنه لا ريح هنا ... ولا نسيم ... ألا تلاحظ ؟!... كل شىء ساكن ... كأنه جو مرسوم فوق لوحة زيتية !...

السجين الثانى : « **ناظرا حوله** » عجيب حقا ... يخيل إلى أنه لا يوجد هنا هواء ...

السجين الأول : وكيف نتنفس إذن ؟!... انتظر ... إنى لا أتنفس ... إنى فعلا لا أتنفس ... ولكنى مع ذلك لا أشعر بضيق ... أرنى صدرك أنت ؟!... اجلس حتى أفحصك جيدا ... « **يضع أذنه فوق صدر زميله** » عجبا !... الرئة لا تعمل ... أرنى نبضك !... « **يمسك بنبضه** » النبض غير محسوس إطلاقا ... أسمعنى قلبك ... « **يسمع قلبه بأذنه** » قلبك واقف ... واقف تماما !...

السجين الثانى : كيف ذلك ؟... قلبى واقف ؟... وأنا حى ؟!...

السجين الأول : « **يترك زميله ويأخذ فى فحص نفسه** » أنا أيضا ... لا نبض يعمل عندى ... ولا قلب ... ولا رئة ...

السجين الثانى : ما معنى هذا !؟!....

السجين الأول : لا أدرى ... نحن فى عرف الطب البشرى من الأموات !...

السجين الثانى : ولكننا نعيش ... أليس كذلك ؟...

السجين الأول : هذا ما يدهشنى ...

السجين الثانى : ما دمنا نعيش ، فسيان أن يكون ذلك طبقا للطب البشرى أو غيره .. المهم هو أننا على قيد الحياة !...

السجين الأول : نعم ، ولكن كيف ؟... كيف ؟... كيف ؟... هذا جنون !...

السجين الثانى : لعلها طبيعة هذا الكوكب ...

السجين الأول : ما هى هذه الطبيعة ؟!..

السجين الثانى : علينا أن نكتشف ذلك ...

السجين الأول : يجب ... ترى هل على هذا الكوكب مخلوقات أحياء ؟!..

السجين الثانى : « **يفحص موضع قدمه** » انظر .. هذا الذى نسير عليه ... إنه ليس ترابا ... ولا رمالا ... ولا طينا !...

السجين الأول : « **فاحصا** » إنه نوع من الصخر !...

السجبن الثانى : « **يفحص بيده** » ليس من نوع الصخر المعروف فى الأرض ... إنه أقرب إلى المعدن ... يجب أن

نشرع حالا فى اكتشاف ما حولنا .. يحسن أن أذهب من ناحية ، وأن تذهب أنت من ناحية أخرى ... ثم نتقابل ونتبادل المعلومات ...

السجين الأول : سأذهب من هذه الجهة ...

السجين الثانى : وأنا من الجهة الأخرى ... ونلتقى هنا .. اعرف جيدا المكان .. أمامنا هذا الجبل أو المسلة أو عمود اللاسلكى .. تذكره !..

السجين الأول : « **ناظرا إلى الجبل** » أتذكره جيدا .. إلى اللقاء ...

السجين الثانى : إلى اللقاء !.. هنا !...

« يذهب كل من ناحية .. ولا يمضى قليل حتى يعود السجين الأول ، حاملا فى يده قطعة صخر ... »

السجين الأول : « **لنفسه** » لا حاجة بى إلى الذهاب بعيدا .. اكتشفت الكوكب كله فى لحظة .. كل شىء متشابه هنا .. يكفى أن نفحص قطعة الصخر أو المعدن هذه .. لنعرف أن من المستحيل أن يوجد نبات على هذا الكوكب .. ولا أن تتكون المادة الحية .. وما دام لا يوجد هنا ماء ولا هواء فكيف يمكن ؟...

السجين الثانى : « **يظهر عائدا هو الآخر** » حقا !...

السجين الأول : عدت سريعا ...

السجين الثانى : كما عدت أنت ... ما الذى فى رأسنا يجعلنا نكتشف الكوكب كله فى لحظة من موضعنا هكذا ؟!..

وسمعت أيضا كل ما قلت أنت .. لا يوجد شيء آخر هنا !... ولكنى اكتشفت أمرا خطيرا ... لعله السر الذى يحيرنا ...

السجين الأول : ماذا اكتشفت ؟...

السجين الثانى : نحن الآن فوق كوكب هو عبارة عن كرة من المعدن .. من معدن غير معروف لنا .. لأن هذا الكوكب نفسه مجهول ولا شك من علماء الأرض ... إنه فيما يبدو كوكب صغير جدا .. وبعيد عن المدارات المعروفة ..

السجين الأول : أهذا هو السر الخطير ؟!...

السجين الثانى : لا .. انتظر .. الاكتشاف الخطير هو أنى سمعت كل كلمة كنت تحادث بها نفسك منذ قليل ... هل كنت تتكلم بصوت يمكن أن يصلنى ؟...

السجين الأول : لا على الإطلاق ... كنت أحادث نفسى ...

السجين الثانى : كلماتك وصلتنى ... لا عن طريق صوتك ... بل عن طريق إشارات تلقيتها برأسى مباشرة ...

السجين الأول : ما معنى هذا ؟...

السجين الثانى : معنى هذا أننا نعيش الآن فوق كوكب معدنى مشبع بالكهرباء ...كهرباء لا أدرى كنهها ... ولكنى اكتشفت آثارها ... وفى استطاعتنا إجراء تجربة الآن إذا أردت ... سأوجه إليك كلاما ... لا من فمى ... ولكن من رأسى ...هل أنت مستعد ؟...

السجين الأول : تكلم !..

السجين الثانى : « **يطرق ويستجمع فكره ويركزه ولا ينطق بشيء** » ؟؟...

السجين الأول : نعم ... نعم ... سمعت ... أدركت ...

السجين الثانى : ماذا قلت لك ؟...

السجين الأول : قلت لى : « نحن الآن مخلوقات نعيش بالكهرباء » !...

السجين الثانى : بالضبط ... هذا نص العبارة التى وجهتها إليك ...

السجين الأول : هذا عجيب حقا !... إذن نحن صرنا !...

السجين الثانى : صرنا نملك فى رأسينا محطات إرسال واستقبال !...

السجين الأول : « **مفكرا لحظة** » انتظر ... انتظر .. ربما كان هذا أيضا يفسر سر بقائنا على قيد الحياة !... لماذا لا تقول إن الطاقات الحيوية التى كان يكتسبها الجسم وخلاياه بالدورة الدموية والأكسجين ، صار يكتسبها الآن من خارجه مباشرة بالإشعاعات الكهربائية ؟!...

السجين الثانى : هذا هو السر ...

السجين الأول : إذن نحن ...

السجين الثانى : نعم ... نحن الآن يا صديقى قدصرنا كبطارية تشحن بالكهربا ء ... وهى تشحن آليا ما دمنا فوق هذا الكوكب !...

السجين الأول : نشحن آليا كالبطارية !... ما عدنا إذن نحتاج إلى طعام أو شراب ... حقا ... إنى لم أعد أشعر

باجوع ...

السجين الثانى : ولا أنا ...

السجين الأول : مع أنه قد مضى علينا ولا شك وقت طويل منذ سقوطنا ...

السجين الثانى : ولا نشعر كذلك ببرد ولا بحر ...

السجين الأول : طبعا ... ولا بحاجة إلى ملابس ...

السجين الثانى : مجرد جهازين كأجهزة اللاسلكى !!!....

السجين الأول : لا نأكل ولا نشرب ولا نبرد ولا نسخن ولا ننام !...

السجين الثانى : ولا ننام ؟!...

السجين الأول : وما حاجتنا إلى النوم ؟!... ما دام النشاط مستمرا بصفة آلية ؟!... هل تنام البطارية المشحونة ؟!...

السجين الثانى : حقا .. لن ننام ...

السجين الأول : ولن نمرض ....ولن نموت ...

السجين الثانى : ماذا تقول ؟...

السجين الأول : ما دامت الحياة فينا مستمرة بما نتلقاه من إشعاعات خارجية فكيف يأتى الموت ؟... لن نعرف الموت أبدا فوق هذا الكوكب !...

السجين الثانى : نحن إذن هنا باقيان ... دائما ... مثل هذا الجبل المعدنى الذى نراه أمامنا !... هذا جميل !... أليس كذلك ؟... بل هذا يدعو إلى السخرية !... حكموا علينا فى الأرض بالإعدام ، وقادونا إلى الموت ... وإذا نحن نعيش دائما ... إلى الأبد !... أما هم على الأرض فسوف يموتون جميعا !...

« يضحك ضحكات متلاحقه »

السجين الأول : لا تضحك هكذا !...

السجين الثانى : و لم لا ؟... اضحك أنت أيضا !... لو علم من قضوا علينا بالموت أننا نتمتع هنا بالخلود ... « **يضحك** » .

السجين الأول : اضحك أنت وحدك ... أما أنا فلا ...

السجين الثانى : ماذا يمنعك ؟... ألا يسرك على الأقل ما وصلنا إليه : الصحة الدائمة والحياة الخالدة ؟...

السجين الأول : هذا جميل حقا ... ولكن ...

السجين الثانى : ولكن ماذا ؟...

السجين الأول : النتيجة !.. ماذا نفعل منذ الآن .. ما هو عملنا ؟.. حتى مجرد اكتشاف هذا الكوكب تم بما فى رأسينا من إشعاعات دون حاجة إلى حركة أو عمل !.. هل فكرت فى أى شىء نستخدم به حياتنا هنا ؟.. هذه الحياة الخالدة والصحة الدائمة !!....

السجين الثانى : قبل كل شىء قم بنا نصنع لنا منزلا .. أو مأوى !...

السجين الأول : لماذا المأوى والمنزل ؟...

السجين الثانى : « **مفكرا** » نعم !!... حقا ... لا حر هنا ولا برد ...

السجين الأول : ولا تعب ... ولا حاجة إلى راحة أو استجمام أو استرخاء ... لقد قلتها أنت : نحن مثل هذا الجبل المعدنى !...

السجين الثانى : ولكن يجب على كل حال أن نعمل شيئا !...

السجين الأول : هنا المشكلة !... ما هو العمل الذى نعمله ؟!...

السجين الثانى : « يفكر لحظة » لا ... لا تخفنى !... ما هذا الكلام الذى تقول ؟... تريد أن تقول إنه لم تعد بنا حاجة إلى العمل ... لن نجوع حتى نبحث عن الطعام ، ولن نتعب حتى نبحث عن المأوى ... فليكن !... ولكن يجب أن نعمل ...لا يمكن أن نقضى هذا الخلود دون عمل شيء !...

السجين الأول : هل هذا الجبل المعدنى يعمل شيئا ؟!...

السجين الثانى : لا ... ولكن هذا الجبل لا عقل له .. أما نحن فلدينا العقل ... وهذا العقل يرفض أن يبقى ساكنا لوقت طويل ...

السجين الأول : إذن فليفكر هذا العقل لنا فى شيء نعمله ...

السجين الثانى : نعم ... هذا كل أملنا ... هذا العقل ... وهو يجب أن يعمل ... لأنه إذا وقف فقد انتهينا ... يعمل ... لأنه إذا وقف فقد انتهينا ... انتهى الإنسان فينا .. ودخلنا فى عداد الأشياء ، لا فى عداد الأشخاص !...

السجين الأول : أجبنى ... ماذا يفعل الحيوان ؟... بل حتى الإنسان عندما يشبع ولا يجد ما يعمل ؟... إنه يلعب ... أليس كذلك ؟.. ما دمنا فقدنا الحاجة إلى العمل ، فأمامنا اللعب ؟...

السجين الثانى : اللعب ؟!!... ماذا نلعب هناك ؟!...

السجين الأول : ماذا كانت هوايتك على الأرض ؟!...

السجين الثانى : هوايتى ؟!... كانت هوايتى إصلاح أجهزة الراديو .. كان الجيران منذ كنت طالبا فى الهندسة يرسلون إلى أجهزتهم لإصلاحها .. وحتى قبل القبض على كنت أفسد جهاز الراديو عمدا لأصلحه من جديد ... وأنت ماذا كانت هوايتك ؟...

السجين الأول : الإصغاء إلى جهاز الراديو !... هوايتك أن تصلحه وهوايتى أن أصغى إليه .. إلى الموسيقى على الأخص ... كانت تطربنى تلك الأغنية التى تقول : ...

« يسمع فى الحال صوت أغنية « حياتى لك طول الأبد » كأنها صادرة فعلا من جهاز للراديو ... »

السجين الثانى : « **دهشا** » عجبا !... ما هذا !! ... ماهذا !!...

السجين الأول : « **مغمض العينين طربا** » بديع !... بديع !...

السجين الثانى : « **صائحا** » هذه الموسيقى صادرة فعلا من جهاز راديو!... أين هو؟... أين هو!... أأنت سامع ؟.. أمدرك أنت ؟...

السجين الأول : اسكت ؟... دعنى أسمع !...

السجين الثانى : أنا كذلك أسمع مثلك تماما .. إن ما فى رأسك مسموع !...

السجين الأول : ما تقول ؟...

السجين الثانى : أقول إن ما نستطيع أن نتصوره بدقة ووضوح فى رءوسنا يمكن أن يظهر خارجها جليا كما هو الحال فى جهاز التلفزيون !...

السجين الأول : تلفزيون !!!...

السجين الثانى : مـؤكـد !... هـل تـستطيع أن تتذكر جيدا شكل جهـاز الراديـو الـذى كـانت تصـدر عنـه هـذه الموسيقى؟...

السجين الأول : نعم .. كان موضوعـا فـى ركـن الصـالون ، وهـو على شكل قطعة أثاث وفوق غطائه آنية زهر كـان فيها آخر يوم ورد صغير أحمر ...

« أثناء كلامه يظهر فى الفضاء بقربه جهاز الراديو الذى وصفه ، كما لو كان يبدو على شاشة سينما أو تلفزيون ... »

السجين الثانى : **« مشاهدا صـورة الجهـاز فـى الفضـاء بدهشـة »** هذا عجيب !...

السجين الأول : **« وهـو يشـاهد هـو الآخـر »** هـو ذاتـه كمـا فـى رأسى !...

السجين الثانى : **« فى شبه ذهول »** نعم ... نعـم ... نستطيع إذن أن نرى مافى رءوسنا مجسدا أمامنا فى الفضاء !... صور المخيلة تنتقل إلى الخارج .. كمـا لـو كـانت ترسل بالراديو من بلد إلى بلد !..

السجين الأول : عجيب هذا !...

السجين الثانى : نعم !...

السجين الأول : اسمـع !... هـا هـو ذا عمـل لنـا ... نسـتطيع أن نستخرج من رءوسنا صور أناس وأشياء تمـلأ علينـا حياتنا هنا ... ما رأيك ؟!...

السجين الثانى : **« ملتفتـا إلى ناحيـة الفضـاء »** انظـر !... اختفـت الصورة من الفضاء ... بمجرد اختفائها من رأسك!..

السجين الأول : معنى ذلك أنه ما دامت الصورة فى رءوسنا فإنها تظهر فإذا لم نعد نفكر فيها فإنها تختفى ...

السجين الثانى : بالضبط !...

السجين الأول : جرب أنت أيضا أن تتصور شيئا !...

السجين الثانى : ماذا تريد أن أتصور ؟! ...

السجين الأول : كما تريد أنت .. تصور مثلا آخر ، شيئا كنت تصنعه قبل القبض عليك ؟!...

السجين الثانى : « **متذكرا** » كنت أمام منضدة الرسم ... أعمل فى مشروعى ...

« تظهر فى الفضاء صورة منضدة رسم هندسية وفوقها نموذج مصغر لمشروع كهربائى ... »

السجين الأول : « **صائحا** » ها هو !... ها هو !...

السجين الثانى : نعم ... وكان بجوار نموذج المشروع مندوبٌ من قبل إحدى الشركات جاء يفاوضنى ... كان يرتدى معطفا أصفر ... لم أعد أذكر ملامح وجهه ...

« يظهر بجوار المنضدة شخص بمعطف أصفر ولكن وجهه غير واضح الملامح ... »

السجين الأول : نعم ها هو ذا حقيقة !... بغير ملامح .. لابد إذن أن نكون متذكرين كل التفصيلات تماما ، محتفظين فى رءوسنا بكل دقائق الصورة الأصلية حتى تبدو فى التجسيد واضحة ...

السجين الثانى : نعم !... لابد !...

السجين الأول : « **ملتفتا إلى الفضاء** » اختفت الصورة !... لم نعد نفكر فيها !...

السجين الثانى : نعم ، يجب فيما يبدو أن نركز تفكيرنا فيها بقوة ولمدة طويلة إذا أردنا ألا تختفى سريعا ...

السجين الأول : عندى صورة لشخص .. أذكر تفصيلاتها ... بوضوح .. لأنى لا يمكن أن أنساها ...

السجين الثانى : صورة شخص ؟ ... من ؟...

السجين الأول : زوجتى !...

السجين الثانى : طبيعى وخاصة إذا كنت تحبها !...

السجين الأول : « **متذكرا** » كانت جميلة .. أنيقة .. تبدو عليها الوداعة ، وإن كانت فى الواقع .. ما علينا .. كانت وديعة المظهر على الأقل .. لا سيما وهى تجلس فى مقعدها المعتاد بجوار الراديو ، وفى يدها إبرة « التريكو » تشتغل بصنع « بلوفر » من الصوف ، تقول إنها ستهديه إلى عندما يشتد الشتاء ..

« تتضح الصورة فى الفضاء كما وصفها .. وهى لامرأة جميلة فوق مقعد مريح بجوار جهاز الراديو الذى سبق وصفه وهى تشتغل بالتريكو »

السجين الثانى : « **مشاهدا** » ها هى ذى حقا ... أكانت كذلك فى الحقيقة ؟!...

السجين الأول : رائعة ؟!... أليس كذلك ؟...

السجين الثانى : جدا !...

السجين الأول : وحديثها وصوتها وهى تقول لى ... « **يغمض عينيه كأنه يصغى إلى صوتها فى رأسه ...** »

الزوجة : « **تتكلم فى الصورة الماثلة لها فى الفضاء** »
ما أحلى هذه اللحظات ... وأنت إلى جانبى ...
يا زوجى العزيز ... لماذا لم أعرفك من قبل ؟!...
لماذا لم تكن أول رجل فى حياتى !...

السجين الأول : فأقول لها : « لا يهم أن أكون أول رجل فى حياتك ، المهم هو : هل أنا أول حب فى حياتك ؟ » فتجيب هى ...

الزوجة : « **فى الصورة الماثلة** » نعم أنت أول حب ... أول حب حقيقى !...

السجين الأول : كنت سعيدا وأنا أسمع ذلك .. إن الجريمة على بشاعتها كانت تبدو لى وقتئذ كثمن بخس لكل تلك السعادة ... آه لو أنك كنت صادقة وأنت تقولين ذلك ؟!... آه لو أن الحقيقة ... حقيقتك ظلت خافية عنى حتى الآن !...

السجين الثانى : «**وهو ينظر إلى الصورة** » ألم تكن صادقة ؟!...

السجين الأول : لا ... كانت تموّه علىّ ....

السجين الثانى : « **ناظرا إليها** » لا يبدو عليها ذلك ...

السجين الأول : ولهذا خدعتنى ... إنها ملائكية المظهر كما ترى ، ولكنها فى الباطن شيطانة !... منذا يظن

أن هـذه الزوجـة الوديعـة الحنـون التـى دفعتنـى إلى القتل ، تدبر فى هذه اللحظة التى تراها أمامك خطة الخلاص منى ؟!... لم أكـن أعلـم شـيئا بعد .. فى هذه اللحظة كنت سعيدا ... كـانت تغرقنى فى هذا الجو من السـعادة الـذى تـراه ... تنسـج لى هـذا « البلوفـر » الـذى يدفئنـى فـى الشتاء ، وتنسج لى فى عين الوقت خيوط المؤامرة التى أودت بى ...

السجين الثانى : « يتأملها » هذه السيدة !...

السجين الأول : ألسـت تصـدق ؟؟!!.... نعـم يـا لهـا مـن سـيدة حقا !... كريمة نبيلة حقـا .. تلـك هـى الصـورة التى تظهر بها للناس ... حتى لـك أنـت الآن .. لأنها كذلـك فـى رأسـى ... كريمـة نبيلـة وديعـة حنون .. حديثها العسل بغـير سـم ... أنـا الـذى عليه أن يضع السم بغير عسل ...

السجين الثانى : « لزميله » وضعت السم ؟!...

السجين الأول : لزوجهـا الأول .. وعندمـا كنـت أقـول لهـا : « ليـت حبنـا لم ينبـت فـى الـدم » ... كـانت تجيب ...

الزوجة : « فـى الصـورة الماثلـة » لا تحـزن !... اهـدأ بـالا !... إن مشرط الطبيب يجرح وينزف منه الدم ولكنه يداوى ... وأنت قـد داويـت حيـاتى وأنقذتنى ...

السجين الثانى : ردها جميل !...

السجين الأول : ردودها دائما كانت جميلة ... كان حديثها المرهم الذى تضعه بمهارة على ضميرى كلما تألم ... فإذا لم يسعفها الكلام الناعم لجأت إلى الموسيقى ...

الزوجة : « **فى الصورة تدير مفتاح الراديو بجوارها** » هذه الأغنية هى بختى ... فلننتظر ماذا ستطلع ؟...

« **يسمع من الراديو أغنية « حياتى لك طول الأبد** » .

السجين الأول : « **متأملا صورتها الماثلة** » يا لها من نظرات تلك التى ترمقنى بها أثناء الأغنية !... لكأنها تقول لى إن الأغنية تعنيها هى ... لقد قالتها بالفعل بعد انتهاء الموسيقى ....

الزوجة : « **تتكلم فى صورتها** » نعم يا عزيزى .. حياتى لك طول الأبد !...أرأيت كيف صدق بختى ، وطلعت لى الأغنية التى تعبر عما بنفسى !...

السجين الثانى : ولماذا لا تصدقها ؟!...

السجين الأول : لأنه قد ظهر بعد ذلك ما يكذبها ...

السجين الثانى : هل تحوى ذاكرتك الآن صورة لهذا الكذب ؟... أرنا إذن !...

السجين الأول : لا ... لست أذكر أشياء محددة ... إنها أدلة تستنتج مما وقع ...

السجين الثانى : مجرد استنتاجات ؟!...

السجين الأول : نعم استنتاجات ، ولكنها قوية جدا وفيها الدليل الدامغ !...

السجين الثانى : لا أقصد مطلقا الاعتراض ولا الارتياب ... ولكنى أقصد أن الاستنتاجات العقلية لن تظهر هنا ... الصورة المادية الواضحة هى وحدها التى يمكن أن تتجدد ...

السجين الأول : ثق أن هذه المرأة خدعتنى فعلا !...

السجين الثانى : أنت الأدرى ...

السجين الأول : ومع ذلك فإنى ... إنى ؟...

السجين الثانى : ماذا ؟...

السجين الأول : « متأملا الصورة الماثلة » أكتفى ... أكتفى الآن بهذه الصورة الرائعة ... إنى ... إنى لم أعد أشعر بشىء نحوها . أليس هذا غريبا ؟!... نعم الآن إحساس جديد ... عندى ... لا علاقة له بالماضى !... هذه المرأة الجميلة الشريرة ... نعم شريرة فلتكن !... هذا وصفها .. وهو لم يتغير ... لكن شرها لم يعد يثير فى نفسى حقدا ... ما فعلت بى هو الآن شىء بعيد .. بعيد جدا .. ولو ردت إليها هنا حياة ، حياة حقيقية ، لما فكرت فى قتلها ... بل لما فكرت فى الغضب عليها ...

السجين الثانى : حقا ... علاقتنا بالماضى صارت واهية ....

السجين الأول : « **متأملا صورتها** » كم أخشى على هذه الصورة أيضا أن تضعف قليلا أو تبهت معالمها مع الوقت ... وبهذا يتلاشى من رأسى شيء جميل !... يجب أن أستعيد هذه الصورة من حين إلى حين ، وأتأملها طويلا ، وأملأ رأسى بها حتى أحتفظ بكل دقائقها ...

السجين الثانى : مهما تفعل فسيأتى وقت لا نحتفظ فيه من صور الماضى إلا بأطراف مبتورة، تفزعنا أكثر مما تسرنا !.

السجين الأول : « **إلى الصورة متوسلا** » لا .. لا ... لا تذهبى من رأسى !... لا تتغيرى ولا تبهتى !... أرجوك ... أرجوك اثبتى فى رأسى كما أنت الآن ... ابقى دائما هكذا ... لا تنقص منك شعرة ... ابقى فى ذاكرتى دائما .. دائما ... لا يذهب منك شيء أبدا .. أتوسل إليك !...

السجين الثانى : « **ناظرا إلى الصورة** » الحق معك ... إنها تستحق البقاء !...

السجين الأول : « **يضع رأسه فى كفيه وتبدأ صورة الزوجة فى الاختفاء** » ؟

السجين الثانى : اختفت .. لم تعد تركز فكرك فيها ...

السجين الأول : « **يرفع رأسه** » نعم ... فجأة لم أعد أفكر فى شيء ... فجأة غمرنى ما يشبه الذهول !... معنى من المعانى خطر ببالى : هذه الأهمية الكبرى التى نعلقها الآن على صور الماضى !...

السجين الثانى : ذلك أنه لم يبق لنا حاضر ولا مستقبل !...

السجين الأول : « **فى قلق** » لا تقل ذلك !...

السجين الثانى : بل هو الواقع يا صديقى !... ما هو حاضرنا اليوم ؟... وما هو مستقبلنا غدا ؟!...

السجين الأول : « **مفكرا** » اليوم ؟! الغد ؟!...

السجين الثانى : أرأيت ؟!... كلمتان لا معنى لهما هنا .. لأنه لا توجد هنا حوادث ... لا يحدث هنا شىء ... ولن يحدث ... كما قلت أنت : لا جوع ولا طعام ولا عمل ولا نوم ولا راحة ولا مرض ولا شفاء .. لا شىء من هذا يحدث ... وحيث لا حوادث فلا وقت ... لأن الحوادث هى التى تصنع الوقت ...

السجين الأول : لا حوادث ؟!!...

السجين الثانى : وأنت الذى لاحظ ذلك .. ألم تقل إننا فقدنا هنا « العمل » ؟... لأنه لا حاجة بنا إليه ... ولم يعد له مغزى ولا هدف ؟!.. ما الذى سيحدث إذن ؟.. ما دام العمل غير موجود هنا ؟!.. اللعب ؟...

السجين الأول : نعم اللعب ... قد بقى لنا اللعب على الأقل !...

السجين الثانى : ها نحن قد لعبنا بهذه الصور ... المتحركة ... هذا النوع من التليفزيون !....

السجين الأول : أنا الذى استحضرت هذه الصور من ذاكراتى ... واستمتعت بها وأمتعتك !... افعل أنت أيضا مثلى ، واستحضر صور ماضيك !...

السجين الثانى : مع الأسف !... ليس عندى صور تسر أو تمتع زوجاتى ؟... كن كلهن من صنف لا أحب أن أتذكره أو أعرضه عليك .. وربما نسيته ... ويحسن أن أنساه ...

السجين الأول : ألم تحب قط ؟!...

السجين الثانى : مرة واحدة ... وأنا فى كلية الهندسة فى سنتى الأخيرة ... أحببت طالبة زميلة لى .. ولكنى نسيت هذا الحب بعد ذلك ... ونسيت أكثر ملامح تلك الفتاة ... لم يبق منها فى رأسى غير مجرد معنى من المعانى ، لا صورة واضحة القسمات ، مما يمكن استحضاره الآن !...

السجين الأول : أليس فى ماضيك شىء ممتع ؟...

السجين الثانى : لا أظن ...

السجين الأول : عجبا !... وكيف كنت إذن ...

السجين الثانى : كنت يتيما فقيرا ... شببت فى كنف عم لى ... صاحب مقهى ، يؤوى المهربين واللصوص ... وكان عمى يرغمنى على العمل فى هذا المقهى وقت فراغى من المدرسة .. وهناك سمعت قصص القتل والسطو والتهريب كأنها حوادث عادية ... هذا هو الجو الذى كنت أتنفس فيه .. لكنى رغم ذلك كنت مجدا فى الدراسة .. وكان بى ميل إلى إصلاح الآلات والأجهزة ... كنت أصلح كل ساعات الزبائن وأجهزة الراديو ، كما قلت لك ، ولكن المال كان دائما يعوزنى .. ثم أصبح

هدفى.. كان ماضىّ حقيرا فلم يكن لى إلا المستقبل...

السجين الأول : وارتكبت الجرائم ؟! ....

السجين الثانى : نعم ، فى سبيل بناء هذا المستقبل !!!...

السجين الأول : يا لها من سخرية !... ها هو ذا المستقبل قد مات إلى الأبد !!!... ولم يبق إلا الماضى ؟...

السجين الثانى : نعم .. الماضى البشع !!... الحقير !... إنه لشىء فظيع أن تقدر لى حياة أبدية مع ذلك الماضى الذى أردت دائما الفرار من وجهه !...

السجين الأول : إنك رجل تعس !...

السجين الثانى : لم يعد حتى للتعاسة من معنى هنا ... وليس هذا هو الذى يهمنى الآن ... المهم هو ألا يزداد احتقارك لى ... نشأتى كما ترى وضيعة ، وأعمالى دنيئة ... وليس لى حتى الصور الجميلة التى فى حياتك !...

السجين الأول : أرجوك .. اطرح من رأسك هذه الفكرة !... إنه لأمر مضحك وسخيف أن يفكر أحدنا هنا فى الاحتقار أو الاحترام لأعمال تمت فى عالم آخر وزمن آخر ، أما حياتى فقد كانت حقا مختلفة بعض الاختلاف عن حياتك فى مبدأ الأمر .. والدى كان طبيبا ... طبيبا غير لامع من أطباء الريف ، ولكنه عنى بتربيتى على أمل أن أنجح فيما أخفق هو فيه وأن أصبح الطبيب اللامع الناجح المتخصص ... ولقد حققت له ذلك ... وكان من حسن حظه أنه توفى قبل أن يرى كيف تحطم هذا النجاح !...

السجين الثانى : مجرد حادث اعترض حياتك هو الذى حطمها ... أليس كذلك ؟... ولكن ما من شىء فى حياتك قبل هذا يمكن أن تأنف منه ؟...

السجين الأول : لا ...

السجين الثانى : ماضيك نظيف فى جملته !...

السجين الأول : نعم .. قبل ذلك الحادث الملعون !...

السجين الثانى : إنك أحسن حالا منى !... لديك على الأقل صور من الماضى جميلة تستطيع أن تعيش فيها هنا ... أما أنا فسأعيش فى العراء ... العراء النفسى !...

السجين الأول : لا تقل ذلك ...

السجين الثانى : أليست هى الحقيقة ؟... حقيقتى الآن ؟!!! إلى أى شىء أتجه ؟... إلى ماضى ؟!... لا أريد بأى حال أن أطالع وجه ذلك الماضى !... إلى المستقبل !... أين هو ؟... المستقبل الذى عشت له .. المستقبل الذى كان لى كل شىء ... وصنعت من أجله كل شىء ... هذا المستقبل ... أين هو ؟!... لا توجد الآن هذه الكلمة ... لا توجد ... لا توجد

« يضحك ضحكات هستيرية ... »

السجين الأول : لا تضحك هكذا .. أرجوك !...

السجين الثانى : طول الخلود سأعيش فى العراء !... العراء ...

« يضحك »

السجين الأول : ستعيش فى ماضى أنا .. إذا شئت ... إن ماضى يكفينا نحن الاثنين ...

السجين الثانى : ماضيك ؟...

السجين الأول : نعم ... ألم يسرك الساعة أن ترى الصورة الجميلة لزوجتى بجوار الراديو وفى يدها إبرة التريكو ؟...

السجين الثانى : نعم !...

السجين الأول : سنرى ذلك معا .. دائما .. وإذا ركزت بصرك فى الصورة ، فى المرة القادمة ، فإنك ستحتفظ بها فى رأسك أنت أيضا ، بكل تفاصيلها ، كما هى فى رأسى تماما ، وعندئذ تستطيع أنت كذلك استحضارها ... وبذلك أيضا نضمن بقاءها طويلا ...

السجين الثانى : ما أشقى تلك الحياة التى تعتمد على صور الماضى وحدها !...

السجين الأول : ما دمنا لا نملك غيرها ...

السجين الثانى : « بقوة » يجب أن نصنع لنا حاضرا ... يجب أن نصنع لنا مستقبلا ...

السجين الأول : كيف !!...

السجين الثانى : لا أدرى ... لا أدرى ... ولكن يجب أن نصنع شيئا ... مستحيل أن نعيش لنجتر صور الماضى كما تجتر البهائم العشب اليابس !... قم بنا .. هلم بنا !...

السجين الأول : إلى أين ؟...

السجين الثانى : إلى أى مكان ... يجب أن يحدث شىء ...

السجين الأول : لن يحدث شىء هنا ...

السجين الثانى : « **صائحا** » لا تقل ذلك .. لا تقل ذلك .. وإلا جننت ... أتريد أن أجن .. إنى حتما سأجن ... لا يمكن أن تقبل عقولنا هذه الفكرة : أن تتجمد الحياة .. أن تقف الحوادث ، ألا يحدث شىء ... سأجن ... سأجن ...

السجين الأول : اهدأ أيها الصديق .. أرجوك أن تهدأ .. يجب أن يحتفظ كل منا هنا بعقله سليما .. هذا أمر ضرورى ...

السجين الثانى : وما فائدة العقل السليم .. إذا لم يكن فى مقدوره أن يحدث شيئا أو ينتج شيئا ؟...

السجين الأول : هذا صحيح ... ولكن !...

السجين الثانى : ولكن ماذا ؟... أنت عاجز ... العقل هنا عاجز عن إحداث شىء .. لأنه غير مطلوب من العقل أن يعمل ما دام العمل هنا لا معنى له ... ما دامت الحاجة إليه لا وجود لها .. إننا لم نعد بشرا ... أفاهم ؟... لم نعد من البشر .. نحن آلة صماء ... نحن مجرد جهاز يشحن بالكهرباء ... يملأ بالحياة .. ولكنه عاجز عن أن يحدث من حوله حياة ..

السجين الأول : « متأملا » عجبا لنا !... عندما كنا على الأرض كنا نتمنى إلغاء الجوع والتعب والمرض ... كان هذا هو الكمال الإنسانى الذى نحلم به .. وها نحن هنا فى الشبع والراحة والصحة الأبدية .. فإذا نحن فى عجز من نوع آخر !...

السجين الثانى : عجز عن عمل شىء يشعرنا بالحياة .. الحياة فى الحاضر وفى المستقبل !... أريد حاضرا .. أريد مستقبلا !... أريد أن يحدث شىء .. أن يتغير شىء .. أتظن أننا نستطيع الحياة طويلا هكذا بغير أن نصاب بالجنون ؟!...

السجين الأول : هدىء من روعك .. وانتظر قليلا !... سأجد الحل ...

السجين الثانى : عقلى سجين .. عقلى يريد أن يتحرر ... قد يكفى الجسم مجرد الحياة .. عن أى طريق .. بالغذاء أو الكهرباء .. ولكن العقل لا يكتفى بمجرد الحياة المادية .. إنه يريد أن يتحرر من الجمود .. حياته هو أن يعمل .. أن ينتج ... وإلا أصابه العطل ثم الخلل ..

السجين الأول : سيعمل وسينتج ...

السجين الثانى : هنا ؟!...

السجين الأول : نعم هنا ... سنعمل وننتج !...

السجين الثانى : ننتج ماذا ؟!... لا تحدثنى عن الماضى وعن صور الماضى !... ما أعنى هو أن ننتج شيئا جديدا ... أن نحدث شيئا جديدا ... أفاهم ؟!... الحاضر أو المستقبل لا يكون إلا بحدوث أشياء جديدة .. هل نستطيع هنا أن ننتج شيئا جديدا ؟!...

السجن الأول : نعم !...

السجين الثانى : ما هو هذا العمل ؟!...

السجين الأول : إنه ليس عملا بالضبط ... وهذا هو الذى سينقذنا . إننا لا نستطيع العمل هنا لأننا لسنا فى حاجة إليه ، ولكن هناك نوعا من العمل نستطيع أن نؤديه دون أن نكون محتاجين إليه ...

السجين الثانى : ما هو ؟!...

السجين الأول : الفن ..

السجين الثانى : ماذا تعنى ؟...

السجين الأول : أعنى أننا نستطيع أن ننتج هنا فنا .. أن نرسم المنظر الذى أمامنا ، أو ننحت تمثالا من هذا الصخر المعدنى .. أو نؤلف قصيدة شعرية عن مشاعرنا فوق هذا الكوكب ...

السجين الثانى : ما هذا السخف ؟!...

السجين الأول : لا تستخف بقولى !... إنى لا أمزح ....

السجين الثانى : بل تمزح ... والغريب أنك تجد الوقت مناسبا هنا لمثل هذا المزاح ؟!...

السجين الأول : ثق أنى جاد ... وأنى أرى المنفذ الوحيد لنجاتنا هو أن نشغل أنفسنا بالفن أو العلم ... ولندع الآن العلم جانبا لأنه يحتاج إلى معدات غير متوافرة الساعة .. ولنبدأ بما هو أسهل تنفيذا : الفن ... فإذا نجحنا فيه فقد فتحنا لنشاطنا بابا إلى ميادين أخرى .. هلم بنا نعد العدة لذلك ... أى نوع من الفن تختار ؟... أظنك تفضل الرسم ؟...

السجين الثانى : نعم ، لى به خبرة .. لكن أخبرنى أولا : لمن تفعل ذلك ؟... هب أنى رسمت المنظر .. من الذى سيطلع عليه ؟...

السجين الأول : أنا ..

السجين الثانى : أنت ؟!...

السجين الأول : نعم أنا ، ألا يكفى ؟.. ألا بد لك من جمهور واسع ؟!... ثق أنى سأهتم بعملك غاية الاهتمام ، وستجد منى تشجيعا يثير فيك الحماسة ..

السجين الثانى : لا تضحكنى !...

السجين الأول : ألا ترانى جديرا أن أثير فيك نشاطا وتحمسا ؟!...

السجين الثانى : وبعد ؟!... أهذا كل شىء ؟!...

السجين الأول : وماذا تريد أكثر من ذلك ؟..

السجين الثانى : أريد أن يكون لعملى نتيجة !... ما هى النتيجة لهذا العمل ؟!... أى تأثير يمكن أن يحدثه

هنا ؟... الفن أو العلم إذا فقد كل أمل في إحداث تأثير أو تغيير فإنه ينقلب إلى عبث ، لا يأتيه إلا مجنون !... إن مجرد قيامنا الآن بالرسم أو النحت لأنفسنا ، ونحن في هذا الوضع الغريب ، حيث لا شيء فينا ولا حولنا قابل للتأثر ولا للتغير ، لهو في ذاته علامة من علامات الجنون ...

السجين الأول : إذن حتى الفن لا نستطيع أن نقوم به هنا؟!...

السجين الثانى : ولا العلم كذلك .. كل هذا سينقلب ، كما أقول لك ، إلى نوع من أنواع الجنون ما دام لا يحدث أثرا فى أحد ولا فى شيء ...

السجين الأول : يا للكارثة !...

السجين الثانى : نعم ... هنا الكارثة ... وأنت لا تريد أن تصدقنى !... إننا هنا فى سجن من نوع مخيف ... سجن أبدى ... لن نخلص منه حتى ولا بالموت !...

السجين الأول : لن نموت !...

السجين الثانى : إنك تلفظها الآن بنبرة الفزع !...

السجين الأول : لن نموت ... إنه حقا لمفزع أن نظل هكذا ، دائما .. بغير غد !...

السجين الثانى : وبغير حوادث !...

السجين الأول : وبغير عمل !...

السجين الثانى : وبغير ملذات !...

السجين الأول : وبغير رغبات !...

السجين الثانى : وبغير حرية !...

السجين الأول : بل الحرية هى كل ما ظفرنا به .. ألم نتحرر من كل الحاجات ومن كل المطالب ، لسنا فى حاجة إلى شىء !...أليست هذه هى الحرية ؟...

السجين الثانى : لا ... هذه ليست الحرية !... هذا الجبل المعدنى القائم أمامنا .. انظر إليه !... هو أيضا ليس فى حاجة إلى شىء !... لا ... الحرية هى أن نحتاج ونعمل ، ونحدث شيئا ، وننتج جديدا ... هى أن نصنع حاضرا ومستقبلا ... هى أن نؤثر فى الغير وفى الحياة التى حولنا . الحرية هى الإنسانية !...

السجين الأول : نعم .. الإنسانية هى النقص ولكنها الحرية !...

السجين الثانى : نعم هى كذلك ...

السجين الأول : « **هامسا** » نعم !...

« **لحظة صمت واطراق ..** »

السجين الثانى : « **ينتفض فجأة ويصيح كالمجنون** » وبعد ؟... وبعد ؟...

السجين الأول : « **فى قلق** » ماذا دهاك ؟!...

السجين الثانى : « **صائحا** » وبعد ؟!... وبعد .. وبعد ؟!...

السجين الأول : وبعد ... ماذا ؟...

السجين الثانى : لا يوجد بعد .. ستقول لى ذلك .. لكن هذا جنون .. يجب أن يوجد بعد ... يجب أن يحدث شىء ... أفاهم أنت ؟... يجب أن نقوم بعمل ما ... لا تقل لى ماذا نعمل ؟... لا تقل لى لا

نحتاج ... لا تقل لى نحن فى حالة تشبع .. فى حالة اكتمال ... إنى أرفض ذلك .. أرفض أن أكون حجرا مشبعا بالنشاط ولا يعمل ولا يتحرك ... أرفض ذلك .. أرفض ...

السجين الأول : لا تصرخ هكذا !... ما فائدة صراخك هذا ؟!...

السجين الثانى : أرفض أن أكون هذا الجبل المعدنى !... أرفض أن أصير قطعة من المعدن مشحونة بالكهرباء ... أرفض ذلك .. أرفض ... أسامع ؟!...

السجين الأول : ترفض ؟!.. أرجوك !.. لا تستخدم هذه الكلمات الحمقاء ، التى لم يعد لها معنى !... ترفض ؟!... ما قيمة رفضك هنا ؟!....

السجين الثانى : وماذا تريدنى أن أفعل ؟!... فى هذا السجن الذى ألقينا فيه ! هنا السجن الحقيقى ... لا ذلك الذى كنا فيه على الأرض ... هناك على الأقل كنا ننتظر شيئا : « الموت » ...نعم كان هناك بعد .. كان هناك غد .. ولكننا هنا فى هذا السجن الفظيع الأبدى لا نستطيع أن ننتظر شيئا .. ننتظر ماذا ؟!... كلمة « ننتظر » ألغيت هى الأخرى من قاموسنا !...

السجين الأول : « مرددا فى فزع » ننتظر ؟!...

السجين الثانى : هذا فظيع !... أليس كذلك ؟!...

السجين الأول : ننتظر ؟!... فظيع حقا .. إلغاء هذه الكلمة هو إلغاء لكل بشريتنا ..

السجين الثانى : « **فى صوت كالبكاء** » لا أريد أن أكون حجرا ... لا أريد أن أكون جبلا .. لا يحتاج ، ولا ينتظر ...

السجين الأول : أبقيت فى عينيك دموع ؟!...

السجين الثانى : أريد أن أموت !...

السجين الأول : وأين هو الموت ؟... « وجود بلا موت ، وموت للعمل والأمل » !... ذلك هو الشعار المنقوش على هذا السجن الأبدى الذى وقعنا فيه ..

السجين الثانى : يجب أن نخرج من هذا السجن !... ولا سبيل إلى ذلك إلا بالموت ...

السجين الأول : إنى معك... ولكن كيف؟...هنا كل المعضلة!...

السجين الثانى : لابد من إيجاد طريقة .. طريقة لموتنا .. لن نقبل أبدا أن نصير شيئا جامدا خالدا كهذا الجبل ...

السجين الأول : « **ناظرا إلى الجبل فى تحديق وتفكير** » هذا الجبل !...

السجين الثانى : نعم ... لماذا تحدق فيه الآن هكذا ؟!..

السجين الأول : انتظر!... يبدو لى أنى وجدت طريقة ...

السجين الثانى : للموت ؟!....

السجين الأول : نعم... اسمع !... إذا تسلقناه حتى بلغنا قمته ، ثم ألقينا بجسمينا من فوقه، ألا نسقط ونتحطم ؟...

السجين الثانى : فكرة صائبة !...

السجين الأول : انتظر قليلا ... نحن نجهل النتائج لأن الطبيعة هنا مختلفة ... هنا احتمال يجب أن نحسب حسابه .. سقوطنا قد لا يؤدى إلى الوفاة ...

السجين الثانى : « **ناظرا إلى الجبل** » من هذا الارتفاع والتربة صلبة !...

السجين الأول : من يدرى النتيجة ؟...

السجين الثانى : لا تعد بى إلى اليأس بعد أن فتحت لنا ثغرة من أمل .. ومع ذلك ما الذى سنخسره ؟... فلنقم بالتجربة على أى حال ... هلم بنا نجرب !...

السجين الأول : « **ينظر إلى الجبل** » الجبل أملس ... كيف نستطيع تسلقه ؟!...

السجين الثانى : حقا ... لو كان معنا حبل أو سلك ؟...

السجين الأول : وأين لنا بالحبل أو السلك هنا ؟...

السجين الثانى : « **بعد لحظة تفكير** » الصاروخ !...

السجين الأول : ماذا تقول ؟!...

السجين الثانى : لا بد أن فى داخل الصاروخ شيئا من هذا ..

السجين الأول : الصاروخ!... خطرت ببالى الآن فكرة أخرى ...

السجين الثانى : ما هى ؟...

السجين الأول : دع فكرة الموت .. لا أحسبها تنجح ، فقد سقطنا من الصاروخ وتحطمنا ولم نمت ... ولكن

الصاروخ ذاته ، ما الذى يجعلنا نفقد الأمل فى إصلاحه ؟...

السجين الثانى : إصلاحه ؟!...

السجين الأول : قد تكون بعض أجهزته محطمة ... ولكن ألا نستطيع معالجتها قليلا ؟.. ربما ساعدتنا كهرباء هذا الكوكب !...

السجين الثانى : الصاروخ ... نعم كنا قد نسيناه .. مهما يكن من أمر يجب أن نحاول .. نحاول .. هلم إلى العمل !...

السجين الأول : العمل ؟!... ها هو ذا العمل يعود ... جاء مع الحاجة إليه !...

السجين الثانى : وجاء معه الأمل !... هيا بنا نحاول ... نحاول ..

السجين الأول : أراك الآن سعيدا !...

السجين الثانى : وأنت كذلك ؟!...

السجين الأول : نعم ... دعنى أقبلك !... لقد عدنا بشرا ... عاد الإنسان فينا ، وأنت تلفظ كلمة «نحاول»!...

« **يتعانقان** » ...

الفصل الرابع

العودة .... إلى الأرض

« شبه بهو في مسكن عجيب ... لا يمكن وصفه بالدقة ، ولا تخيله تماما .. فهو بالطبع غير الطراز المعروف ... والحيطان تكاد تكون مضيئة ، كأنها من زجاج ، ولكنها مغطاة في بعض الأركان بستائر غريبة النقوش . في أحد جوانب هذا البهو تقف فتاة شقراء في ثياب غريبة كذلك ، أمام جهاز يشبه أجهزة التسجيل الصوتي والتلفزيوني ... وهي مشغولة بإعداده ... »

السجين الأول : « **يدخل وهو يتثاءب** » آه .. ما ألذ النوم !... يظهر أني نمت كثيرا !...

الشقراء : أكثر مما ينبغي ... يكفينا عادة ثلاث ساعات !...

السجين الأول : فقط ؟... هذا خطأ ... إن النوم ليس لمجرد استعادة النشاط ... إنه في ذاته متعة ...

الشقراء : متعة ؟!...

السجين الأول : أدركنا هذا ، ونحن فوق ذلك الكوكب الملعون !...

الشقراء : ستصف كل مشاعرك بالطبع في تقريرك عن الرحلة ... والآن ... هل أنت مستعد للبدء في العمل ؟...

السجين الأول : لحظة من فضلك !... أريد قدحا من القهوة !... تلك متعة أخرى !...

الشقراء : معذرة !... لم تتناول قهوتك بعد ؟!... أتريدها باللبن ؟!... ومع ذلك تستطيع أنت أن تجهز

لنفسك ... التى تريدها .. ليس أبسط من ذلك ... هـ ، فى المطبخ ... تجد إلى جانب أنابيب المياه الباردة والساخنة أنابيب أخرى ذات ألوان مختلفة ، إحداها للقهوة والثانية للشاى ، والثالثة للبن ، والرابعة للحساء ، وهكذا ، افتح الصنبور الذى تريده ، وضع تحته القدح بالمقدار الذى تحب ...

السجين الأول : أفى كل مسكن هذا ؟!...

الشقراء : بالطبع ... هذه السوائل من ضروريات الحياة كالمياه تماما ...

السجين الأول : هذا ولا شك يكلف كثيرا ؟!..

الشقراء : بالعكس ... التكاليف زهيدة جدا ... وتتحملها الدولة عادة فى كل مكان ...

السجين الأول : شىء عجيب !...

الشقراء : ألم يكن هذا موجودا فى عصركم ؟...

السجين الأول : العفو !...

الشقراء : حقا ... حقا .. فى دراساتنا التاريخية لذلك العصر ، منذ ثلثمائة سنة كان العالم مختلفا ...

السجين الأول : ثلثمائة سنة !... أليس عجيبا أن أسمعكم تقولون هذا عنا وعن عصرنا ... أنا وزميلى !... ثلثمائة سنة ؟!... أين كنا طوال هذه الأجيال ؟!... إن هذه الرحلة لم تستغرق فى نظرنا أكثر من يوم أو بعض يوم !!!

الشقراء : إذا أردت الدقة فهى قد استغرقت ثلثمائة سنة ..

وتسعا ....

السجين الأول : وتسعا ؟...

الشقراء : بالضبط ... طبقا للحساب الذى أجرته هيئة العلماء على أساس ما هو مثبت فى السجلات العلمية القديمة ...

السجين الأول : بالتأكيد ... يوم انطلاق الصاروخ بنا كان طبعا يوما مشهودا ومثبوتا فى السجلات ... هذا لا جدال فيه .. ولكن شعورى ..

الشقراء : شعورك ... هذا ما يجب أن تصفه فى تقريرك ..

السجين الأول : كيف يمكن إلغاء هذا الشعور ... أو تغييره ؟... قد يكون ما تقولين صحيحا ... بل هو قطعا صحيح علميا ...لأنه معروف أن الزمن على الأرض نسبى ... وبمجرد انطلاقنا من الأرض بسرعة الضوء نتجرد أيضا من الزمن ، وتصبح اللحظة هناك مساوية لعام هنا ... كل هذا صحيح فى نظر الحقيقة العلمية ... ولكن الحقيقة الشعورية ؟!... شعورى أنا ... ماذا أصنع فيه ؟!...

الشقراء : صفه وصفا دقيقا ... لأنها حقا تجربة رائعة !... وهذا ما ينتظره الناس منك ... فى كل بقاع العالم ... وما سوف يكون موضوعا لدراسة العلماء فى كل مكان !...

السجين الأول : نعم ... أنا الآن فأر فى قفص زجاجى ، موضوع لدراسة العلماء والهيئات العلمية ؟! ... أليس

كذلك ؟!...

الشقراء : ليس هذا بالضبط !... أنت أيضا موضع تكريم في كل مكان !... إنك تخدم العلم ، والدولة تقدم إليك تقديرها !...

السجين الأول : حقا ... لست أنكر ... لقد أعدوا لى هذا المسكن الجميل وخصصوا لى هذا السكرتيرة الجميلة !...

الشقراء : « باسمة » شكرا !....

السجين الأول : بهذه المناسبة تعرفون بالطبع أنه كانت لى زوجة ؟! على هذا الحساب لا يمكن إذن أن تكون باقية حتى الآن على قيد الحياة !...

الشقراء : بعد ثلثمائة عام ؟!... ولم لا ؟!...

السجين الأول : ماذا تقولين ؟!...

الشقراء : قد تجدها مسنة بالطبع ... وقد تكون ماتت قبل أن تلحق عصر التقدم الطبى ... مهما يكن من أمر فإن لدينا كثيرين فى الستين أو السبعين أو حتى الثمانين بعد المائتين ... فى صحة جيدة ...

السجين الأول : عجبا !... وما هو متوسط العمر عندكم إذن ؟...

الشقراء : مائة وخمسون عاما وربما مائتان ... ثم يبدأ الشخص يفقد شبابه !...

السجين الأول : شبابه ؟!... ومتى إذن الشيخوخة ؟!...

الشقراء : الشيخوخة العادية تظهر آثارها على الشخص عندما يقترب عادة من الثلثمائة ...

السجين الأول : شيء جميل !...

الشقراء : علمنا من التاريخ أنه قبل ثلاثة قرون كانت شيخوخة الإنسان فى الثمانين !... هذا قليل جدا !... ألا ترى ذلك ؟...

السجين الأول : أتسأليننى أنا ؟... إننا كنا نرى الثمانين عمرا مديدا !...

الشقراء : هذا مضحك ... على ذلك كم ترانى أبلغ من العمر ؟...

السجين الأول : أنت ؟... بالطبع ما بين العشرين والخامسة والعشرين !...

الشقراء : « باسمة » أنا فى الستين يا سيدى !...

السجين الأول : ماذا تقولين ؟... لا .. أرجوك ... لا تسخرى منى !...

الشقراء : بل هى الحقيقة ... لماذا تستغرب ؟... سن الستين هى سن صغيرة ...

السجين الأول : وفى الخامسة والعشرين كيف كنت إذن ؟...

الشقراء : كنت كما أنا الآن ... لم أتغير كثيرا ... من ناحية الجسم على الأقل !...

السجين الأول : وماذا تفعلون لتبقوا هكذا ؟!...

الشقراء : وأنتم فى عصركم ... ماذا كنتم تفعلون لتشيخوا فى الثمانين ؟!...

السجين الأول : كانت هناك أمراض ... وكانت الغدد تضعف والخلايا تبلى ... والشرايين تجف .. وأشياء أخرى من هذا القبيل !...

الشقراء : قبل سن المائتين قلما يحدث لنا شيء من هذا !...

السجين الأول : الطب الذى أعرفه ونبغت فيه لا شك أنه شيء بدائى جدا عندكم الآن ... يجب أن ألتحق بكلية الطب من جديد لأتخرج طبيبا ملما بما وصلتم إليه من علم ..

الشقراء : لا حاجة بك إلى ذلك ... عندنا أطباء كثيرون لا يجدون عملا .. وأنت الآن فى يدك عمل لا يعرفه أحد غيرك ... الدنيا كلها تنتظر وصف مغامرتك العجيبة فى الفضاء ... إن البيانات التى ستدلى بها سيكون لها أكبر القيمة فى نظر الجهات العلمية المختلفة ... إنها كلها مترقبة ومنتظرة ... وكما قلت لك أمس لن تحتاج إلى أن تدون معلوماتك أولا ... يكفى أن تتحدث أمام هذا الجهاز ، لترسل حركاتك مع حديثك ، مترجما إلى كل لغة ، فى نفس الوقت ، إلى كل بيت فى العالم ...

السجين الأول : والصحف ؟!...

الشقراء : أى صحف ؟... آه فهمت . تقصد ... نعم ... نعم ... الصحف والكتب عندنا ترسل كذلك لمن يطلبها فى كل مسكن فى العالم !... إما فى نسخة منظورة أو مسموعة أو بالحروف كما تريد !... يكفى أن تقف أمام لوحة هذا الجهاز ، وهو موجود فى كل مسكن وتطلب الصحيفة أو الكتاب الذى تريده ونوع النسخة ليعرض أمامك

ما طلبت ، إما صورا أو أصواتا .. أو صفحات باللغة المطلوبة ...

السجين الأول : شيء غريب !... ولكنى لن أستطيع أن أدلى ببياناتى ، قبل أن أنظم تفكيرى وأدونه أولا ...

الشقراء : لا مانع من ذلك ... هذا يحدث كثيرا .. سأمهلك الوقت اللازم !...

السجين الأول : أمهلينى أولا الوقت اللازم لأتأمل ما سمعت وأدهش وأشرب فنجان القهوة !...

الشقراء : آه عفوا !... لحظة واحدة !... سأعده أنا لك هذه المرة ... « **تتجه إلى المطبخ بخفة الغزال** » ...

السجين الأول : « **وهو يتأملها متعجبا** » غادة هيفاء فى سن الستين !..

الشقراء : « **تعود وتقدم إليه قدحا** » جعلت مقدار اللبن مساويا للقهوة ... ووضعت قدرا معتدلا من سائل السكر ...

السجين الأول : « **وهو يتناول القدح من يدها** » أشكرك !..

الشقراء : لست أزعم أنى أجدت إعداد القهوة كما كانت تعدها السيدة زوجتك . ولكننى ...

السجين الأول : « **مقاطعا** » لا تحدثينى عن زوجتى !...

الشقراء : إنى آسفة !...

السجين الأول : لست أقصد ... بالطبع ذكرى زوجتى لاتؤلمنى ... إن فراقنا الأبدى على أى صورة من الصور كان أمرا مفروغا منه ... وإذا كنت قد

تصورت موتها يوما ... فلم يكن ذلك بالطبع بسبب الشيخوخة ... تلك آخر موتة كنت أتصورها لها !... لو أنها ماتت حقا كذلك !... لا ... لم أعد أشعر نحوها بحقد ... لا ... ولا بحب ... وإن كنت لا أنكر أنى لست بمستطيع أن أتصورها فى صورة امرأة مسنة !... لو كانت حية حتى الآن .. بل إنى لست أريد أن أراها الآن أبدا ... إن صورتها الماضية الجميلة يجب أن تبقى فى رأسى سليمة ، لا صورتها الحاضرة المتغيرة ، صورة المرأة العجوز !...

الشقراء : إنك تتكلم عنها كلاما غريبا !...

السجين الأول : لن تفهمى طبعا معنى لما أقول ... ويحسن أن نكف عن الحديث عنها ... إنها لم تعد هى الآن ... حياتها الحقيقية وصورتها البديعة ... لم يعد لها وجود إلا فى رأسى كما كانت فى الماضى ، ولا أريد أن أعرف غيرها ... كما كانت فى الماضى !...

الشقراء : حقا ... هل أعجبتك القهوة ؟...

السجين الأول : « **وهو يرشف** » جدا ... طعمها لذيذ ... وغريب أيضا بعض الشىء ... لقد أوجدتم بالتأكيد أنواعا جديدة من شجر البن ...

الشقراء : شجر ؟!... لا ... هذه القهوة ليست من شجر ... ولا هذا اللبن من بقر ...

السجين الأول : ماذا تقولين ؟... لا شجر ولا بقر ؟...

الشقراء : لا ... كل هذا مصنوع كيميائيا ... هذا شىء معروف من قديم ... منذ أكثر من قرنين من الزمان ... المواد الغذائية الضرورية تستخرج من البحار والمحيطات والرمال والهواء ... ولذلك هى كما قلت لك زهيدة القيمة جدا ...

السجين الأول : كم تدفعون مثلا فى هذا الفنجان ؟...

الشقراء : ندفع ماذا ؟...

السجين الأول : نقودا !... كم من النقود ؟...

الشقراء : نقود ؟!... ما معنى هذا ؟... آه تقصد ذلك الذى قرأناه فى التاريخ القديم ... لا يا سيدى ... نحن لا نعرف النقود ...

السجين الأول : لا تعرفون النقود ؟!... وبماذا تتعاملون !... بماذا تحصلون على الأشياء ؟...

الشقراء : الأشياء موجودة ... دائما ... نحصل عليها كما نشاء عندما نشاء ...

السجين الأول : بلا مقابل ؟!...

الشقراء : طبعا !...

السجين الأول : هذا شىء عجيب !...

الشقراء : اسمع !... عند تعييني لخدمتك قيل لى إنك ستجهل أمورا كثيرة من حياتنا ، وعلىّ أنا أن أقوم بتوضيح كل شيء لك ... ولكن يظهر أن المهمة عسيرة . فهناك قرون عديدة قد انطوت حدثت فيها بالطبع أشياء لا تعرفها .. أظن الأنسب أن نمضى معا إلى المكتبة التاريخية ، وهناك سأعرض عليك تطورات الأجيال الماضية فى الأجهزة المصورة .. سترى كل الأحداث وتسمع أصواتها .. كما لو أنها تقع الآن أمامك .. وهذا يوفر علينا الوقت ...

السجين الأول : بالتأكيد !... لابد من ذلك .. ولكن هذا لا يمنع من أن أعرف منك الآن .. وقبل كل شيء ... هل وقعت تلك الحرب المدمرة ؟...

الشقراء : أى حرب ؟!...

السجين الأول : تلك الحرب الذرية التى كنا نخشى وقوعها ... قبيل انطلاقنا إلى القضاء ؟!...

الشقراء : آه ... نعم ... هذا شيء قديم جدا ... من أجل هذا كنت أفضل أن ترى ذلك بعينيك فى المكتبة التاريخية ... أذكر أن هذه الحرب قد وقعت بالفعل ...

السجين الأول : وقعت ؟!...

الشقراء : نعم ... بدأت بتراشق بعض القنابل الذرية ... ولكنها انتهت بعد بدئها بساعة واحدة ... فقد ثارت الشعوب ... ووقفت الحرب فى الحال ... ولم تحدث أضرار كثيرة ... ومنذ ذلك التاريخ لم تقم حرب كبيرة ...

السجين الأول : بالطبع ... هذا يفسر تقدمكم العلمى !...

الشقراء : حدث بعد ذلك بقليل أعظم انقلاب فى مصير البشرية ... كما يقول لنا التاريخ ... وهو الذى قضى نهائيا على فكرة الحرب !...

السجين الأول : ما هو ؟...

الشقراء : استخراج تلك الطاقة غير المحدودة من الهيدروجين الموجود فى ماء البحار والمحيطات ... واستخراج الطعام بكميات غير محدودة بالطرق الكيميائية ...

السجين الأول : إلغاء الجوع !!!...

الشقراء : كادت تلك الاكتشافات فى أول الأمر تعرض العالم لحرب جديدة ... فالدولة التى اكتشفت أولا أرادت الاحتكار ... ولكن سر الاكتشاف لم يلبث أن تسرب وعرفته كل الدول... واستطاعت كل أمم الأرض أن تنتج الطعام بغير تكاليف .. وبهذا عم السلام !...

السجين الأول : كل شخص يجد القهوة واللبن فى الأنابيب !!!..

الشقراء : نعم ... ما وجه الغرابة فى ذلك ؟!...

السجين الأول : لا ... لا شىء !...

الشقراء : أرى على وجهك تعبيرات لا أفهمها ... كنت تتوقع أن تجد الأمور تجرى اليوم كما كانت تجرى فى عصركم ؟... يقول لنا التاريخ إنه قديما كان الإنسان يعمل ليحصل على حاجاتة ....

السجين الأول : طبعا ..

الشقراء : نحن لا نعرف ذلك منذ أمد بعيد ... الإنسان عندنا يجد حاجاته دون أن يعمل !...

السجين الأول : ومن الذى يعمل إذن ؟...

الشقراء : ذلك الذى يحب العمل للعمل !....

السجين الأول : ومن هو الذى يحب العمل ما دامت الحاجة مقضية بلا مقابل ولا تعب ؟!...

الشقراء : كل الناس يريدون أن يعملوا ... وتلك هى مشكلتنا الكبرى ... وتلك هى أهم مطعن لنظامنا !...

السجين الأول : يريدون أن يعملوا ؟... ولماذا لا يعملون ؟!...

الشقراء : لا يوجد عمل لكل الناس !...

السجين الأول : ما هذا الكلام ؟... ومن الذى يدير هذه الحركة اليومية فى هذه المدن الكبرى ؟...

الشقراء : الأجهزة الآلية !...

السجين الأول : ماذا تقولين ؟...

الشقراء : انظر فى الشوارع ... تجد عربات الكنس تسير بلا سائق !... وانظر إلى السماء تجد أوتوبيسات الجو تطير بلا طيار ... كل شىء يدار بالأزرار من الإدارات المحلية والمركزية ... هذا أدق وأسرع ... أليس كذلك ؟...

السجين الأول : نعم ... نعم ... الآلة تعمل والإنسان يأكل ويشرب ولا يعمل !...

الشقراء : لذلك ما يكاد يعلن عن وجود أى عمل حتى تتقدم الألوف فى صفوف ... ويجرى انتخاب دقيق للأصلح ...

السجين الأول : كل هذا طمعا فى ماذا ؟!...

الشقراء : فى متعة العمل ...

السجين الأول : آه صدقت ... صدقت ... هذا أعرفه ... هذا حقا قد عرفته ولمسته .. ما أشق الفراغ على النفس !...

الشقراء : خذ مثلا عملى هنا معك ؟... هل تظن أنى حصلت عليه بسهولة ؟... لقد اختارونى من بين آلاف من المتقدمات !...

السجين الأول : « يتأملها مليا » نجحت فى الامتحان ؟!...

الشقراء : نعم ... ألا ترانى جديرة بذلك ؟!...

السجين الأول : لست أقصد على الإطلاق ... أنت بالطبع قد نجحت عن جدارة واستحقاق ...

الشقراء : لقد قالوا إن ملازمة شخص تفصله عنا قرون أمر يتطلب صفات خاصة ...

السجين الأول : وفى الحق أن لك من الصفات ما يحبب إلى هذه الملازمة !...

الشقراء : مثل ماذا ؟...

السجين الأول : جمالك الرائع أولا !... إنه من طراز عجيب !...

الشقراء : وغير هذا ؟...

السجين الأول : شعرك الذهبى كأنه سنابل القمح وقت الحصاد !...

الشقراء : وغير شعرى ؟...

السجين الأول : عيناك اللتان كفيروزتين أو بحيرتين !!...

الشقراء : وغير عينىّ ؟...

السجين الأول : فمك الذى يشبه كأس لؤلؤ !... أو زنبقة تلمع فيها قطرات ندى !...

الشقراء : وغير فمى ؟..

السجين الأول : أنفك ونحرك وقوامك و....

الشقراء : وبقية أعضاء جسمى !... ما حاجتك إلى تعدادها هكذا ؟.. وماذا تريد من ذلك ؟... تريد أن تصل إلى ماذا ؟... إلى أن تقبلنى ؟!...

السجين الأول : أتمنى هذا !...

الشقراء : قبلنى إذن ولا تضيع وقتك !...

السجين الأول : هكذا ؟!...

الشقراء : لماذا جمدت فى مكانك ؟... ألم تقل إنك تتمنى أن تقبلنى ؟...

السجين الأول : نعم .. ولكن ...

الشقراء : ولكنك تريد الكلام ... أعرف هذا النوع من الناس !... ولكن هذا سخيف !... إذا كنت تريد شيئا فلماذا تتكلم عن شيء آخر ؟!...

السجين الأول : معذرة !... كنت أحسبك تفضلين ...

الشقراء : لا ... لست أنا التى تفضل ذلك ...

السجين الأول : فهمت الآن ... فهمت !...

الشقراء : أراك غير مغتبط بهذا الفهم ؟...

السجين الأول : من قال لك ذلك ؟...

الشقراء : تعبيرات وجهك ... وجمودك فى مكانك !...

« يسمع رنين كأنه رنين جرس كهربائى ، من نوع خاص ، فى أحد الأركان ... »

السجين الأول : « **منتفضا** » ما هذا ؟...

الشقراء : أحد يطلبنا .. انتظر ! « **تتجه الى جهاز صغير فى ركن ، وتدير مفتاحه فتظهر صورة على لوحته** » هذا زميلك !...

السجين الأول : « **ينهض** » زميلى !...

السجين الثانى : « **فى الجهاز** » هل استيقظت وشربت قهوتك ؟!...

السجين الأول : نعم ... من الأنابيب !... وأنت ؟...

السجين الثانى : مثلك .. هل أجيء إليك الآن ؟!...

السجين الأول : إنى فى انتظارك !...

السجين الثانى : بعد لحظة !...

« تختفى صورته وصوته عن الجهاز .... »

السجين الأول : « **للشقراء** » اختاروا له هو أيضا سكرتيرة !...

الشقراء : **« بلهجة تدل على شيء فى النفس »** سمراء !..

السجين الأول : تقولينها بنبرة تنم على ...

الشقراء : إنها لا تخلو من جاذبية !...

السجين الأول : بل إنها ... رائعة ... هى أيضا !....

الشقراء : يروقك هذا النوع من النساء !...

السجين الأول : إنى لم أرها غير مرة واحدة ... أمس ... معه لمحتها ، وهذا لا يكفى لكى أعرفها !...

الشقراء : يحسن أن تعرفها لتحكم !...

السجين الأول : وما الداعى ؟!...

الشقراء : **« تنظر إلى لوحة زجاجية فوق جهاز »** ها هما قد وصلا ...

« تضغط على زر بجانب الجهاز فيفتح الباب ، ويدخل منه السجين الثانى ، بصحبة سمراء .. »

السجين الثانى : **« مادا ذراعيه »** كيف حالك يا صديقى ؟!... هل نمت كثيرا ؟!... ما ألذ طعم النوم !...

السجين الأول : حقا !.... إنه لمتعة !...

السجين الثانى : وهذه القهوة ، وهذا الشاى واللبن والحساء والطعام ، الذى لا يكلف شيئا ... فى أية جنة نحن ؟!...

السجين الأول : والعمل ؟... هل بدأت العمل فى تقريرك ؟...

السمراء : إنه لم يفعل شيئا غير إلقاء الأسئلة !....

السجين الثانى : **« لزميله »** وأنت ؟...

الشقراء : مثلك بالضبط !...

السجين الثانى : يلقى أسئلة ؟!... هذا طبيعى ... يجب أن نعرف فى أى عالم نعيش !؟... هذا عالم جديد بالنسبة إلينا ... تصور أن وسائل الانتقال ليست فى الشوارع ... إنها فى الجو ... وأسطح المبانى هى محطات للسيارات والأوتوبيسات الجوية ... وكل هذا بالمجان ... لا تذاكر ولا نقود !... وأطول مسافة فى العالم تقطع فى ساعة ، والنزهة إلى القمر فى ست ساعات !... ياله من عالم عجيب !... مدهش !...

السجين الأول : ليس هذا كل شيء ... يوجد ما هو أعجب !...

السجين الثانى : ما هو ؟...

السجين الأول : « **يهمس فى أذنه** » هل قبلت سمراءك ؟...

السجين الثانى : إنى لم أفكر ...

السجين الأول : عندما تفكر فى ذلك فاحذر من أن تبدأ بمغازلتها .الغزل هنا ممنوع ... قبلها عندما تريد فى الحال .. ولا تضيع الوقت فى الكلام !...

السجين الثانى : ألا يضايقها أن ...

السجين الأول : بالعكس ... اتبع ما قلت لك هذه نصيحة مجربه !...

الشقراء : إن الهمس شيء لا أحبه فى التخاطب !...

السمراء : دعيهما ... ليس كل ما نحبه نفرضه على الغير ، ونعتبره خاليا من العيوب منزها عن النقد !...

الشقراء : إنى أدرك مرمى كلامك !...

السمراء : هذا من حسن الحظ !!... إنك تدركين ما أعنى !...

الشقراء : ولكن الظرف غير مناسب لكلامك هذا الآن !...

السجين الأول : لا داعى للخلاف بينكما ... كنا بالاختصار نتهامس فى موضوع القبلة !...

الشقراء : أية قبلة ؟!...

السجين الثانى : عندما أريد قبلة من فتاتى ، فإنى أقبلها فى الحال ، هكذا .. « **يقبل السمراء** »

السمراء : « **تصفعه** » كيف تجرؤ ؟...

السجين الثانى : « **مأخوذا** » معذرة !... « **لصديقه** » أهو مقلب كنت إذن تدبره لى ؟...

السجين الأول : « **وهو مأخوذا أيضا** » لا ... مطلقا ... إنى ...

السجين الثانى : تعجبك هذه الصفعة على وجهى !.. يظهر أن هذا هو الشىء الذى لم يحدث فيه تجديد منذ ٣٠٠ عام !..

السجين الأول : « **ملتفتا إلى الشقراء** » ألم تقولى لى منذ قليل ؟...

الشقراء : نعم أنا ... وليست هى ...

السجين الأول : أهناك إذن فرق بينكما فى ... وجهات النظر ؟!!!...

الشقراء : فرق كبير يا سيدى ... أنا أنتمى إلى حزب المستقبل وهى تنتمى إلى حزب الماضى ...

السجين الثانى : أيوجد هنا أيضا أحزاب ؟!...

السجين الأول : ألم تقولى لى إن الحروب انقرضت ؟...

الشقراء : منذ قرون كما قلت لك ، لا توجد حروب ، ولا دول تسيطر على دول ، كل الأمم سواء فى الاكتفاء والعلم والتقدم الحديث ... ولكن الخلاف قائم دائما فى كل الأمم والشعوب بين الطائفتين : طائفة تريد المضى بشجاعة إلى الأمام ، وطائفة تريد الوقوف والنظر بعين الخوف إلى الخلف ...

السمراء : ليس بعين الخوف ولكن بعين الحكمة !...

الشقراء : من حق حزبكم أن يستخدم الكلمة التى تعجبه ، وأن يطلق على الخوف كلمة الحكمة !... وأن يقف عجلة السير ويسمى ذلك عقلا !...

السمراء : « **متحدية** » السير إلى أين ؟!... من فضلك !!..

الشقراء : « **فى استعلاء** » إلى أمام ...

السمراء : إلى الهاوية ... الكارثة ... ذلك هو الأمام الذى نسير نحوه بفضل جرأة حزبكم ... وإذا كنتم قد فزتم طويلا بالحكم فذلك لأنكم استطعتم أن تبهروا أنظار الناس بمخترعاتكم وآلاتكم وأجهزتكم التى أراحت الناس وأطعمتهم وأسكنتهم وألهتهم ... ولكن الناس لا يستطيعون أن يعيشوا طويلا بالطعام وحده ... إنهم يريدون أن يشغلوا حياتهم بشىء ... إنهم يريدون أن يعملوا... أعطوهم عملا!... دبروا لهم العمل!..

الشقراء : العمل ... العمل ... العمل ... تلك هي النغمة الخبيثة التي ترددونها دائما ... لتوغروا الصدور ، وتثيروا المتاعب ...

السمراء : إنها ليست نغمة ... إنها حقيقة . راجعي الإحصاءات الرسمية عن حوادث الانتحار !... العلماء الآن يبحثون ذلك ، وأنت تعرفين وكل حزبكم يعرف ، ويرتعد قلقا ... إن نسبة عدد المنتحرين ترتفع كل شهر على نحو مخيف ... لماذا ينتحر الناس أفواجا ؟!... لأنهم لا يعرفون ماذا يصنعون بالحياة !!...

السجين الأول : « للسمراء » إني معك ... إني أوافقك ... إنك تتكلمين كلاما صائبا حقا .... نعم ، إن الحياة تفقد معناها عندما نعجز عن أن نصنع بها شيئا !... وسلينا نحن !...

السمراء : أنت معي ؟!...

السجين الأول : على طول الخط !...

الشقراء : معها في هذا الجمود والركود والتخلف والخوف ؟!..

السجين الأول : معها حيث تكون ... كلامها يقنعني ... ورأيها يعجبني ... إنها تعجبني !...

الشقراء : تعجبك ... هذا شيء آخر !!!...

السجين الأول : « **ناظرا إلى السمراء فى استحياء** » إنى ...

السمراء : أشكر لك تأييدك يا سيدى !...

الشقراء : إنه يؤيدك ولا يعرف ماذا تريدين بالضبط ...

السجين الأول : بل أعرف ... لقد شعرت يوما بكل حرف من كلامها !...

الشقراء : سلها إذن ما هو الحل : هل يريدون منا أن نحطم الآلات والأجهزة ، وأن نجعل الناس يكنسون بأيديهم الشوارع ، كما كان الحال منذ قرون ؟!...

السمراء : ولم لا ؟!... إذا كان هذا سيسعدهم ؟!...

السجين الثانى : لا .. اسمحى لى يا سيدتى !... هذا كلام لا يصح أن يقال ... تريدين تحطيم الآلات والأجهزة وإلغاء التقدم ، لا ... لا... إنى أخالفك كل المخالفة ... ما أبشع الماضى ، لو تعرفين !...

الشقراء : أنت من رأيى إذن ؟...

السجين الثانى : نعم ... من رأيك ... إن التقدم هو التقدم !...

الشقراء : مهما يكن الثمن ... أليس كذلك ؟!...

السجين الثانى : نعم ... لا شىء يعدل سير الإنسان نحو المستقبل ... نحو اكتشافات جديدة ، واختراعات جديدة ... العقل الإنسانى يجب أن يسير دائما ، ويتحرك نحو الغد ... نحو الجديد ...

الشقراء : تفكيرك يعجبنى !...

السجين الثانى : وأنت أيضا !..

الشقراء : ماذا ؟..

السجين الثانى : تعجبيننى !..

الشقراء : تقصد تفكيرى ...

السجين الثانى : وغيره ...

الشقراء : وغيره ؟... مثل ماذا ؟...

السجين الثانى : كل شىء ... فيك !...

الشقراء : تعنى الشعر والفم والأنف والقوام الخ ؟؟!...

السجين الثانى : مثلا !...

الشقراء : اسمع !... تستطيع أن تقبلنى فى الحال ، إذا أردت ...

السجين الثانى : لا ... اسمحى لى ... أنا لا أحب أن أصفع على وجهى مرتين فى أقل من ربع ساعة !...

الشقراء : « ضاحكة » لا تخف !... تريد أن أبدأ أنا ؟... ولكن أين جرأتك ؟... ألست من حزبى ؟!...

السجين الثانى : نعم ... أنا من حزبك .. حزب التقدم .. وسأتقدم بكل شجاعة !... وليكن ما يكون !...

« يتقدم إليها ويقودها إلى أحد الأركان البعيدة ، حيث يقبلها ، ويبقى إلى جوارها . »

السجين الأول : « للسمراء » ما رأيك فى هذا الذى نشاهد ؟!...

السمراء : وأنت ؟.. ما رأيك ؟...

السجين الأول : لست مرتاحا إلى هذه الطريقة !...

السمراء : ولا أنا ...

السجين الأول : لاحظت بالفعل أنك مستنكرة !...

السمراء : هذا النوع من الجرأة يفقد العاطفة كل قيمتها ... أليس كذلك ؟...

السجين الأول : بالتأكيد !...

السمراء : إنهم يعدونها اختصارا للطريق ... ولكن لماذا يريدون إلغاء الطريق حتى فى هذا ؟!...

السجين الأول : مع أن هذا الطريق هو أجمل ما فى الحياة ...

السمراء : بدون شك ... ولذلك إحساسهم بالجمال الحقيقى مفقود ... وقلما يخرج الشعراء أو الفنانون العظام من حزبهم !...

السجين الأول : من حزبك أنت ... الفن والجمال ... لا أشك فى هذا !...

السمراء : فى الغالب !...

السجين الأول : لا يدهشنى ذلك !...

السمراء : لديهم هم أيضا بعض أهل الفن ، ولكن الأغلب عندهم هم العلماء والمهندسون ... وهم يفكرون كثيرا ويشعرون قليلا ...

السجين الأول : لم يعد يدهشنى أيضا ميل صديقى المهندس إلى تلك الفتاة من الحزب الآخر ... أنا ولو أنى طبيب ولا أنتمى إلى الفن الجميل ، إلا أن شئون العواطف تهمنى كثيرا وكان لها فى حياتى دخل كبير ... فالحب يستطيع أن يضيعنى ، ويستطيع

أن يحيينى ... وإنى لأفعل من أجله كل شىء ... حتى الجريمة والسجن !....

السمراء : « تتأمله مليا » تؤمن إذن بالحب ؟!...

السجين الأول : وأى إيمان ... لقد أحببت حتى الحقد والبغض والانتقام ... ثم محا الزمن كل شىء ... ولم يبق إلا ذلك المعنى : وهو أنى حملت الحب وحدى بزهره وشوكه إلى نهاية الطريق !...

السمراء : نحن أيضا نناضل من أجل هذا الحب وهذا الإيمان ...

السجين الأول : ومن يعارضكم فى ذلك ؟...

السمراء : الحزب الآخر ... يسمى كل هذا من مخلفات الماضى ... لم يعد عندهم للحب قداسته كما ترى ... إنه نوع من اللهو ... أو اللعب الفارغ... فنحن فى عالم مكتظ بوسائل اللعب واللهو لكل الناس ... لأن الناس يأكلون ويشربون ويلعبون بلا عمل ولا مسئولية ... وهم يهيئون للناس ألوانا من الألعاب العجيبة والمباريات كالسباق بين الكواكب القريبة وكرة الفضاء تقذف بين الأرض والقمر ، وغير ذلك مما يشغل الناس ، أما الذى يصبح طالبا العمل فيتهمونه بإحداث الشغب وهم لا يشجعون الحب الجدى الذى يؤدى إلى الزواج ، لأن طلب الزواج تكتنفه نفس الصعوبات التى تكتنف طلب العمل !....

السجين الأول : كيف ذلك؟... ألا يحق لكل شخص أن يتزوج؟.

السمراء : لا يا سيدى ... يجب على طالب الزواج أن يجتاز اختبارا علميا دقيقا ، ليتم التأكد من قيمة النسل الذى سينتجه للعالم ... الزواج لم يعد للحب ... منذ أمد طويل ... لأن الحب يتم بغير زواج !...

السجين الأول : الزواج للإنتاج فقط؟...

السمراء : وبشروط ... شروط قاسية قلما تتحقق لأكثر من خمسة فى المائة من السكان ... وبعض العلماء يستكثر هذه النسبة ، ويقول إن انقراض الحروب والأمراض وطول الأعمار المطرد يجعل العالم فى غير حاجة إلى سكان جدد !...

السجين الأول : والعوالم الأخرى ، ألم تحاولوا الإسكان فيها ؟..

السمراء : القمر ؟... ما من أحد يريد المكث فيه ... ولكنه للنزهة والمباريات ومشاهدة منظر الأرض منه ولاستخراج بعض المواد المعدنية المطلوبة للأغراض العلمية والصناعية ... والكواكب البعيدة لم يعد روادها بعد من الرحلة ، وقد لا يعودون فى عصرنا ، كما عدت أنت وزميلك فى غير عصركما ... ولا ندرى بعد عنهم شيئا ... أما رواد الكواكب القريبة فقد عادوا يقولون إن الرحلة إلى تلك الكواكب لا تفيد إلا فى جمع المعلومات العلمية الطريفة والغريبة ... ولكن لا حاجة بالإنسان إلى الإقامة هناك !...

السجين الأول : بالطبع ما دام الطعام والكساء والسكن متوافرا هنا على الأرض لكل إنسان ، فلا داعى لإقامته الدائمة فى مكان آخر .. لكن لماذا يمنع النسل ما دام سيجد كل حاجاته متوافرة .

السمراء : ولماذا يسمح بمجيئه والعالم غير محتاج إليه ؟!... هكذا يقولون ...

السجين الأول : العالم أيضا غير محتاج لحبنا وعواطفنا ونزواتنا وعقائدنا ... ولكن هذه كلها يجب أن توجد ...

السمراء : هذا ما لا يريد أن يفهمه الحزب الآخر !....

السجين الأول : لقد قلتها أنت الآن : الإنسان يسير إلى كارثة ... كنا على الكوكب الملعون فى نفس هذه الكارثة !!... كنا لا نحتاج إلى شىء ... لم يكن بنا حاجة إلى طعام أو كساء أو سكن ... ولا إلى حب أو كره أو عقيدة ... وإذا نحن نشعر بالإنسان فينا يتحطم ... وأننا نتحول شيئا فشيئا إلى نوع من الجهاز المشحون بالكهرباء ....

السمراء : أرجو أن تخرج معى قليلا لنختلط بالناس ... وعندئذ سترى كثيرين منهم أشبه حقا بالآلات المتحركة ، ولكنها آلات خربة صدئة لا تعمل شيئا ... وهى مع ذلك تتحرك فى غير اتجاه وبغير هدف ؟...

السجين الأول : الذى يعمل هو الآلات الأخرى التى صنعوها ؟..

السمراء : نعم والغريب أنهم صنعوا أكثرها على هيئة إنسان ... هذا الإنسان الإلكترونى الآلى ، هو الذى أعطى له العمل والهدف !... هو الذى يعرف كيف يشغل وقته حقا ... أما نحن فنهيم على وجوهنا فى الفراغ ، أو نرقد على أعشاب الحدائق المترامية الأطراف !...

السجين الأول : كما يفعل الحيوان إذا شبع !...

السمراء : نعم ... ألا ترى معى أنه يجب أن ننهض لنغير هذا الحال؟!...

السجين الأول : بدون شك ، وإلا فنحن نخون إنسانيتنا !...

السمراء : نعم يجب أن نفعل شيئا ...

السجين الأول : ألم تثوروا من قبل ضد هذا الوضع ؟!...

السمراء : حاولنا كثيرا ... ولكن مع الأسف ...

السجين الأول : لم تنجحوا ؟!...

السمراء : كانوا يكتشفون دائما بأجهزتهم كل حركة قبل أن تبدأ ...

الشقراء : « **تقترب** » حركاتكم مفضوحة حقا ... لا فائدة !...

السمراء : كنت تتسمعين ؟...

الشقراء : بل صوتك هو الواضح ...

السمراء : فتحت الجهاز الذى بجوارك هناك لتسمعى وتتجسسى !...

الشقراء : أتجسس ؟!... هذه أيضا بعض ألفاظكم المتخلفة !... لا ... أنى فقط أحذرك !... إنى مواطنة مثلك .. لماذا يفكر حزبك دائما فى الطرق غير المشروعة ؟... لقد وصلنا نحن إلى الحكم ، لأن الناس يريدوننا ، لأنهم انتخبونا نحن ولم ينتخبوكم ... تقدموا بشجاعة إلى الانتخاب القادم ، لنرى هل حقا يريدكم الناس ؟!...

السمراء : الناس ... مع الأسف ، لم يفهموا بعد حقيقة رسالتنا !... وإن لكم طرقا بارعة فى تزييف معنى هذه الرسالة !!..

الشقراء : لسنا فى حاجة إلى التزييف ... رسالتكم واضحة المعنى : إنها العودة إلى الوراء !...

السجين الثانى : « **خلف الشقراء** » أشهد أنى سمعتها الآن تقول بتحطيم الآلات والأجهزة !...

السجين الأول : إنك لم تفهم معنى ما قالت ... إنها تريد أن تنقذ الإنسانية من كارثة !... هذا كل شىء !...

الشقراء : كارثة !... اسمع ... من حقك أن تدافع عنها ...ومن حقك أيضا أن تحبها ... فما من شك الآن أنك تحبها ... وإن يكن هذا الحب من النوع المتراخى الحالم الذى يسمونه هم شاعريا ... ولكن الذى لا حق لك فيه هو أن تتورط معها فى حركات معادية غير مشروعة !...

السجين الأول : إنى لا أتورط ... إنى أومن !...

الشقراء : تؤمن بماذا ؟...

السجين الأول : بما تقول هى ... الإنسان يجب أن يبقى إنسانا !... يجب أن يحتفظ دائما بجوهر الإنسان فيه ، ولا ينقلب إلى مخلوق آخر !...

الشقراء : بل نحن نريد لكل عصر جديد إنسانا جديدا ...

السجين الثانى : بالتأكيد .. إنسان جديد للعصر الجديد !!!...

السجين الأول : « لزميله » يدهشنى أنك أنت توافق على ذلك؟!..

أنت ... يا من كنت معى على الكوكب الملعون !...

السجين الثانى : وأنا على العكس ... لا يدهشنى أنك تنظر إلى الماضى دائما فقدكنت معى على ذلك الكوكب الملعون تستحضر صورة لتعيش معها ... أنت يكفيك دائما أن تعيش مع صور قديمة ، مع أشباح ... أما أنا فلا ... إنى لا أعيش بغير مستقبل ... لا بد أن أعيش مع جديد ... مع شىء جديد يحدث باستمرار ..

السجين الأول : ألم نكن فوق ذلك الكوكب نعانى معا من فراغنا الإنسانى !؟...

السجين الثانى : كنا نعانى فى الحقيقة من جمود العقل ووقوف الزمن ... ولكن العقل هنا يتحرك ...

السمراء : عقل من الذى يتحرك ؟!...

السجين الأول : نعم ، عقل من ؟؟... ليس عقل الناس !... إنه عقل العلماء والمهندسين والخبراء والمتخصصين ، هو الذى يتحرك حقا ليعطى سواد الناس اختراعات تضاعف لهم الراحة واللهو والكسل والفراغ ... أليس كذلك ؟!...

السجين الثانى : إنك تبالغ !...

الشقراء : إنهم دائما يبالغون فى تخيل كوارث وهمية !...

السمراء : انزل يا سيدى إلى الشوارع والميادين والحدائق والمروج وانظر بعينيك !...

السجين الثانى : إن المشكلة التى تصفونها ، لو وجدت حقا ، لاستطعت أنا أن أجد لها حلا فى طرفة عين !...

السمراء : كيف ؟!...

السجين الثانى : ليس من المستحيل أن أخلق للناس عملا ... ولو اقتضى الأمر هدم هذه المدن بمبانيها الضخمة ، وإعادة بنائها من جديد على طراز أحدث !...

السجين الأول : « **ساخرا** » كما كنت تفعل قديما .. عندما كنت تفسد أجهزة الراديو عمدا ، لتتولى إصلاحها من جديد ؟!...

السجين الثانى : ولم لا ؟!..

الشقراء : « **ناظرة إليه بإعجاب** » ها هو ذا الرجل الجدير حقا بعصرنا .

السمراء : « **غير ناظرة إلى زميلتها** » إنه لم يفهم حقيقة المشكلة .. قلت لك يا سيدى إلى الشوارع والحقول والمصانع تجد الإنسان الإلكترونى هو الذى يقوم بالزراعة والصناعة والخدمة العامة ، فى حين أنك ستجد الإنسان الحقيقى واقفا أو قاعدا يتثاءب ... وحتى حلك هذا بهدم المدن وبنائها من جديد ، فإن الذى سيقوم به هو الإنسان الآلى أيضا ... لأن الإنسان الطبيعى لم يعد فى مجموعه صالحا ... لقد فقد الكثير من سواد الناس عادة العمل ... إنهم يريدون ولا يستطيعون ... و لابد من مرور وقت طويل ، لنغرس فيهم هذه العادة مرة أخرى ... ولهذا نناضل ...

السجين الثانى : تناضلون من أجل إحياء عادة قديمة ، فقدها الناس لأنها بليت وذهبت !؟...

الشقراء : أدركت الآن أنهم حزب ينظر إلى الماضى !؟...

السمراء : ومع ذلك فنظرتنا صائبة ... أليس كذلك يا صديقى ؟!...

السجين الأول : هذا إيمانى ... ولكننى أرجوك أن تكفى عن الكلام ، إن الكلمات لا تقنع من لا يريد أن يبصر ...

السمراء : صدقت !!.. كفى كلاما .. ولنعمل فى صمت !...

السجين الأول : نعم ، لنعمل فى صمت ... أنا معك إلى نهاية الطريق ...

الشقراء : تعملون ضدنا ؟!...

السجين الأول : نعمل واجبنا !...

الشقراء : إنكما تسيران فى طريق خطر ... وأنت بالذات أيتها الزميلة برغم كل شىء ، قد اختاروك بحسن نية دون نظر إلى مذهبك ، لتلازمى ضيفا عزيزا على الدولة ، لا أن تدبرى معه المؤامرات !

السجين الثانى : أظن واجبك الحقيقى يا صديقى هو أن تعمل فى تقريرك .. لديك تجربة طبية رائعة ، ستحدث دهشة بين الأطباء هنا وسيكون لها أثر ونفع ... تجربة حياتنا بغير دماء وقتا ما ... ثم إعادة الدماء إلى شرايينا عند العودة ، من زجاجات الدم المحفوظ التى وجدت سليمة فى الصاروخ ... كل هذا تتركه لتهتم بموضوعات قديمة لا شأن لنا بها .

السجين الأول : هذه الموضوعات القديمة هى جزء من كيانى ، ولن أنزل عنها أبدا ...وسأعمل من أجلها !...

السجين الثانى : أنت حر فيما تراه لنفسك ... أما أنا فسأعمل فى تفريرى حالا ... إن إصلاح الصاروخ كان كما تعلم معجزة !.. وإخراجه من جاذبية ذلك الكوكب كان معجزة أكبر !...والمعلومات التى سأدلى بها سيكون لها من الناحية العلمية والفنية أعظم النتائج ... فواجبى إذن أن أسرع إلى العمل ... هلمى بنا يا ... « **يقف فجأة حائرا بين الفتاتين** » أيهما ؟!... الموقف قد تحرج !...

السجين الأول : لا يوجد حرج على الإطلاق . لقد انجلى الموقف لكل منا عمن يفهمها وتفهمه !...

السجين الثانى : أيحق لنا إذن أن نغير من اختاروها لنا ؟..

السجين الأول : لقد أخطأوا فى الاختيار لكل منا ... وليس من حقهم أن يفرضوا علينا خطأهم !...

السجين الثانى : نتبادل إذن !...

السجين الأول : بدون شك !..

السجين الثانى : « للشقراء » موافقة ؟..

الشقراء : بالطبع !...

السجين الأول : « للسمراء » وأنت ؟...

السمراء : هذا يسعدنى !...

السجين الثانى : « للشقراء » نذهب إلى عملنا ؟...

الشقراء : هلم بنا !...

السجين الأول : « للسمراء » ونحن ؟؟...

« عندئذ يسمع الرنين ، ثم يفتح الباب ، يدخل شخصان فى زى غريب ... »

السمراء : « **فى صيحة** » رجال الأمن !...

رجل الأمن : «**يتقدم إلى السمراء**» رأينا وسمعنا كل شىء !..

السمراء : الأجهزة !... نعم ... هنا أيضا ومعنا نحن ... هذا ما لم يخطكر لى ... لكن ماذا قلنا وفعلنا مما يخالف القوانين ؟...

رجل الأمن : اتفقت مع هذا السيد على القيام بعمل ما لتغير الوضع القائم ... ما هو هذا العمل ؟...

السمراء : عمل مشروع بالطبع ...

رجل الأمن : ما هو ؟...

السمراء : لا نعرف بعد ... كان مجرد تفكير ...

السجين الأول : نعم كنا فى حدود التفكير ... هل التفكير ممنوع.؟!...

رجل الأمن : لا يا سيدى ... ولكن حديثكما قد فحص علميا بإمعان .. وظهرت من خلفه نوايا معينة !...

السجين الأول : نوايا معينة !؟...

رجل الأمن : تحدثتما عن الثورة ...

السمراء : كان مجرد تساؤل ...

السجين الأول : نعم . كنت أسأل ... ألم يحدث أن ثار الناس ؟..

رجل الأمن : لا يا سيدى ... الناس هنا لا يثورون ... لأنهم هم الذين انتخبوا الحكومة ...حزب الأغلبية هو الذى يحكم اليوم ... أما الحزب الآخر الذى لم يفز فى الانتخابات فعليه أن يحترم الوضع لا أن يثور ...

السمراء : نحن لم تفكر فى إحداث ثورة !...

السجين الأول : طبعا لم نفكر فى هذا ...

رجل الأمن : ما هو نوع العمل إذن ؟...

السجين الأول : ربما كان تنوير الأذهان ... أليس من حقنا ذلك » ...

رجل الأمن : هذا حق مباح بدون شك .. وقد كان الحزب الآخر يعرض وجهة نظره بكل وسيلة أيام الانتخابات ... ولكنه لم يظفر بتأييد الأغلبية !...

السجين الأول : كل ما قصدناه هو التعبير عن وجهة نظرنا ...

رجل الأمن : بل تحدثتما عن تحطيم الآلات والأجهزة !...

السمراء : بالطبع .. لم أكن جادة فى هذا القول ...

رجل الأمن : هذا هو العمل غير المشروع الذى جئنا من أجله ...وأنت يا سيدتى تعرفين أن حزبك نفسه لا يرضى عن ذلك ... ولقد سبق أن فاز حزبك بالحكم منذ سنوات . فلم يستطع أن ينفذ برنامجه ... و لم يجرؤ على وقف آلة واحدة أو تعطيل جهاز واحد ، خشية أن يؤدى ذاك إلى جوع الناس أو إحداث الارتباك فى حياتهم اليومية ، فتقوم الثورة فعلا ضده ... لقد آثر السلامة ، واكتفى ببعض مشروعات فى مجال الآداب والفنون الجميلة ...

السجين الأول : « للسمراء » أحدث هذا حقا ؟!...

السمراء : نعم ولكن ... من قال إنى راضية عن تصرفات حزبى ... إن لى رأيى الخاص ...

السجين الأول : بالطبع ... لنا رأينا الخاص ... أنا وأنت !...

رجل الأمن : لكما رأيكما الخاص !... هذا لا شأن لنا به .. ولكن الطريقة التى تعبران بها عن هذا الرأى الخاص ... ما هى ؟... هذا واجبنا ... حماية للناس ... وللعصر الذى شيدناه ونعيش فيه !.

السجين الأول : أتخافون منا ... أنا وهذه الفتاة الجميلة ... على هذا العصر ... الذى شيدتموه وتعيشون فيه !؟.. نحن إذن فى غاية الأهمية والخطورة !...

السمراء : « **متحمسة** » أرأيت ؟... أنا وأنت قادران ولا شك على أشياء كثيرة !...

السجين الأول : المهم أن نؤمن ونثبت !...

السمراء : وأنا معك !...

رجل الأمن : فى هذه الحالة لم يبق إلا أن نتخذ إجراءاتنا ... ولكما الخيار المعتاد : إما الأشعة وإما مدينة السكون !...

السجين الأول : « **للسمراء** » ما معنى هذا ؟!...

السمراء : لديهم أشعة تسلط على المخ فتغير تفكيره ... وقد أسيء استعمالها إلا برضى المذنب ... ومدينة السكون هى مكان لعزل المذنبين وحرمانهم حرية التنقل والاختلاط بالناس !...

السجين الأول : السجن بالاختصار ...

السمراء : هى مساكن كهذه بالضبط ، حولها حدائق ... لكن ... ليس بها وسائل اتصال أو مواصلات !...

السجين الأول : بالطبع أختار السجن ... أما تغيير أفكارى فلا أقبله بأى حال.. أفكارى هى شخصيتى !..هى ذاتى !..

السمراء : وأنا أيضا ... مثلك !...

رجل الأمن : اتبعا هذا الحارس إذن !...

السجين الأول : « ناظرا إلى الشخص الآخر فى صيحة » ما هذا ؟... إنه ليس بآدمى ؟!..

السمراء : إنه الأنسان الآلى الذى حدثتك عنه ... كل الحراس وجنود البوليس هم هكذا ...

السجين الأول : «يتأمله» لا يأكل ولا ينام ولا يمرض ولايموت !...

رجل الأمن : هل أنتما على استعداد !...

السجين الأول : إنى على استعداد...

رجل الأمن : فلنذهب إذن !...

السجين الثانى : انتظر ... ستذهب به إلى أين ؟... إنه صديقى ...لماذا فعلت هذا أيها الصديق ؟... أين سأراك إذن ؟... كيف أراك ؟...

السجين الأول : لن ترانى !...

الشقراء : لقد حذرتك وحذرتها ... فلم تصغيا ... هذا أمر يدعو إلى الأسف !...

السمراء : بل هى فرصة نادرة تدعو إلى الأمل !...

السجين الأول : فرصة ؟!...

السمراء : نعم ... إن القبض على رجل مثلك يتطلع إليه العالم كله الآن لهو كاف لنشر الشائعات ، والناس عندنا اليوم يتهجون بترديد الأقاويل والشائعات لأنهم يجدون فيها ما يشغل أوقاتهم الفارغة ...

السجين الأول : حقا ... تلك أكبر خدمة لقضيتنا !...

« يسمع رنين ، ثم يرتفع صوت من جهاز خفى في المكان .... »

الصوت : هنا المركز الرئيسى !.. هنا المركز الرئيسى !... اترك الرجل ، وخذ الفتاة !... خذ الفتاة وحدها !... وستعين فتاة أخرى !...

السمراء : تلك غلطتنا !... نبهناهم !...

السجين الأول : « **صائحا** » فتاة أخرى !... مستحيل !... مستحيل !... لا يمكن أن أقبل أى فتاة أخرى ... لن تتحكموا فى عواطفى !... لن أسمح لأحد أن يتحكم فى مشاعرى !...

رجل الأمن : « **يتقدم نحو السمراء** » هيا بنا يا سيدتى !...

السجين الأول : لن تذهب !.. لا تذهبى !..

رجل الأمن : « **للسمراء بقوة** » هلمى بنا !...

السجين الأول : قلت لن تذهب ! لن تذهب !

رجل الأمن : « **يشير إلى الإنسان الآلى اشارة خاصة** » خذها.:.

السمراء : « **صائحة** » لا ... لا .. لا تجعله يقبض علىّ هو ... لا تجعله يطلق من عينيه شعاعه المخدر ... إنى ذاهبة بنفسى ... مره يقف فى مكانه ... أرجوك !... أرجوك !...

السجين الأول : « **ينقض على رجل الأمن** » مره يقف فى الحال وإلا كسرت عظمة عنقك !...

رجل الأمن : «**يحاول الخلاص عبثا**» دعنى!.. إنك تخنقنى !...

السجين الأول : سأقتلك !.. إنى مستعد لارتكاب جريمة قتل !..

السجين الثانى : « **يسرع إلى التدخل** » ماذا دهاك أيها الصديق !... هل جننت !...

السجين الأول : قل له يقف هذا المخلوق الآلى !... وإلا قتلته !..

السجين الثانى : اترك عنقه أولا !...

السجين الأول : تركته ... فليأمر هذه الآلة بالوقوف !...

رجل الأمن : « **ينهض ويشير إلى الإنسان الآلى بالإشارة الخاصة** » قف !...

السجين الأول : إذا أردت أن تأخذ هذه الفتاة ، فلابد أن تأخذنى معها !...

رجل الأمن : لقد سمعت بأذنيك الأوامر تصدر بتركك !...

السجين الأول : ولكنى أريد أن أذهب معها !... حيث تكون !...

رجل الأمن : كيف تريد منى مخالفة أمر صدر لى !!؟...

السجين الثانى : لماذا تريدون التفريق بينى وبينها !؟...

رجل الأمن : إنى أنفذ ... ولا شيء غير ذلك !...

السجين الأول : إذا كانت هناك مسئولية فلماذا تتحملها هى وحدها ؟!..إنى أشاركها بفكرى وقلبى وإيمانى!...

رجل الأمن : قالوا اترك الرجل ... فيجب أن أطيع ...

السجين الأول : يخشون القبض علىّ حتى لا تنطلق الشائعات ... فليسمعوا إذن ما أنا فاعل : عندما يطلب منى مواجهة الدنيا بأحاديثى وتقاريرى ، سوف أعلن على الملأ رأيى بصراحة فى كل هذا الذى حدث !.. سوف أقول للدنيا : إنى بعد ثلثمائة عام وجدت كل شيء تغير إلا الخوف من الكلمة ، والانزعاج من الرأى !.. خير لكم أن

تقبضوا علـيّ ... وأن تحكمـوا بموتـى إذا اقتضى الأمر ... هذا أهون على نفسـى مـن الـزج بهـذه الفتاة الجميلة النبيلة فى تهمة يجب أن أتحملهـا أنـا عنها !...

السمراء : ولكنـى شـريكتك ... وربمـا كنـت أنـا التـى دفعتك ...

السجين الأول : إنهـا لسـعادة لى أن تحمليـنـى نصيبـك ... أرجوك !... لا تضنى علىّ - بهذه السعادة !..

السمراء : إذا قبلت أنا ، فإنهم هم لن يقبلوا ...

السجين الأول : سأحملهم على القبول ، ولو اضطرنى الأمر إلى أن أقتل شخصا ... أو أثيرها فضيحة فـى العـالم ... سأتهم ... وسأقول ... وسأفعل أشياء كثيرة !..

« يسمع الرنين .. ثم يرتفع الصوت الخفى »

الصوت : هنا المركز الرئيسى !... هنا المركـز الرئيسـى !.. تقدم أيها السيد ... هل يسعدك حقـا أن تتحمـل نصيب هذه الفتـاة ؟... إذا كـان هـذا نوعـا مـن سعادة تطلبها فأخبرنا ...

السجين الأول : نعم ... هذا كل ما أطلب ...

الصوت : لـن نحرمـك مـن أن تنـال هـذه السـعادة التـى تطلبهـا ... تريـد بـالطبع أن يطلـق سـراح هـذه الفتـاة ، وتذهـب أنـت وحـدك إلى مدينـة السكون ـ بنصيبك ونصيبها ـ أليس كذلك؟...

السجين الأول : هذا يسرنى ...

الصوت : هناك إذن ستقوم أنت بإعداد تقاريرك بمعاونة المختصين ... وستكون مقابلاتك وزياراتك خاضعة للنظم المعمول بها هناك !...

السجين الأول : إنى مستعد !...

الصوت : فلينفذ ذلك !... إرضاء لهذا الضيف العاطفى !...

« يسكت الصوت ، ويتأهب رجل الأمن للقيام بمهمته .... »

السمراء : « **تقترب من السجين الأول** » لماذا هذه التضحية ؟!... إنى لا أستحق ...

رجل الأمن : هلم بنا يا سيدى !...

السجين الأول : هيا بنا !...

السجين الثانى : ذاهب حقا ... إنك لم تتغير ... بعد ثلثمائة عام !... مرة أخرى تذهب إلى السجن بسبب امرأة !...

السمراء : « **هامسة للسجين الأول** » لن أنساك لحظة !...

السجين الأول : ولا أنا ....

السمراء : « **هامسة فى أذنه** » فضيحتك ستخدم قضيتنا ... ستعيد الاعتبار إلى العواطف التى يحسبونها من أساطير القرون الغابرة !...

السجين الأول : وداعا !... هل لى أن ؟!...

السمراء : نعم ... أن تقبلنى !... الآن !...

(**يتعانقان**) .....

« تمت »

رقم الإيداع ١١٠٢٤ / ٩٤
الترقيم الدولى 5 - 0907 - 11 - 977

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه